ضد المرأة

تأليف

د. منى حسين

٢٠٢٣م

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة

سعيد عبده مصطفى

كتب ثقافية

تصميم الغلاف:

محمد عطيه

تم التنفيذ بمركز زايد للنشر الإلكترونى
بدار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل –
القاهرة – جمهورية مصر العربية

حسين، منى

ضد المرأة: تأليف/ منى حسين.

ط1 – القاهرة: دار المعارف، 2023.

104 ص، 19.5 سم

تدمك 0 9330 20 977 978

1 – المرأة فى الحياة العامة.

(أ) العنوان.

تصنيف ديوى: 301.412

رقم الإيداع: 2169/ 2023

رقم أمر التشغيل: 1/2022/80

رقم الكونجرس: 0 – 841584 – 01 – 2

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – **فاكس:** ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإهداء

إلى كل امرأة ورجل فى حياتنا تعاملوا معاً ببداية جديدة، كصفحة بيضاء بلا ذاكرة أو اجترار لآلام الآخرين، فلكل قاعدة شواذ، ولا يمكن تعميم الأحكام، لأننا جميعاً مختلفون، فلكل موقف فعل وخلفية هامة، إما بالعادات والتقاليد، أو بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى، وداخل كل هذا اختلاف الأفراد فلا تنزعجوا. فقط فكروا وحكموا عقولكم وقلوبكم فى كافة مناحى الحياة . فهذا العمل هو غوص فى أعماق النفس البشرية علها ترضى.

تمنياتى بقراءة ممتعة ومفيدة

د. منى حسين

ضد المرأة

(١)

كلمـا تحدثت مع عدد مـن الرجال اكتشـفت أن البعض منهم يعانـون من علاقاتهم بالمرأة، فهذا يدعـو عليهن بأن يأخذهن الله جميعاً، وإن شعر بالحرج لأنه يحدث امرأة، يعتذر على استحياء قائلاً ما عدا حضرتك، فهو يرى أن المرأة قيد مؤلم لكل زوج، لأنها لا تعيـش معه كمـا يريد، لها عالمها الخاص الـذى يهتم بالمطبخ وتنظيف البيت، وهو لن يشـاركها هذه الاهتمامات، لكنه غاضب جداً لأنها لا تشاهد معه مباراة كرة قدم مثلاً.

أحـاوره كثيراً لكـن قناعاته لا تتغير، فهـو يراها من كوكب آخـر، أذكر له أن هناك سـيدات يشـاهدن المباريـات المختلفة، يسـمعنى وذهنه شـارد، كأننى أتحدث عن يوتوبيا، فيها المرأة متعددة الاهتمامات منهـا الفنية والرياضية، إلى جانب اهتمامها بالأزيـاء والطهى وديكـورات المنزل، أصمـت، وأحياناً اتعاطف معـه، وأتسـاءل كيف لم ينجح فى مشـاركة زوجتـه فى بعض اهتماماتها، حتى تشاركه فى اهتماماته ؟

وهناك من ينصب نفسه عدواً للمرأة، فهو يعلن كرهه لها، وإن بحثنا عن الأسـباب نجد أن له تجربة مريرة مع زوجة سـابقة، نجحت بمعاملتها القاسية وطمعها فى كل ما يملك فى غرس عداوة

المــرأة فى نفس هذا الرجل الراقــى المحترم، الذى لم يبحث عن طريــق للقصاص منها، أو مضايقتهــا حرصاً على ابنه الذى يعيش فــى حضانتها، فيتحمل كل عيوبها، بــل ويلبى لها كل مطامعها حفاظاً على هذا الابن، إلى أن يقابل امرأة بمواصفات أخرى تختلف عنهــا، فيتأكد أن زوجته الســابقة هى حالــة فردية، لكن كرهه لهذه المرأة جعله كمن تأذى بنارٍ فأصبح يخاف من ضوء الشــمس، ويملأ صــدره الخوف من المغامرة بعلاقة جديدة، لكنه دائماً يرى أن هذه المرأة ســرقت أجمل ســنوات عمره، فيتحسر ويعلنها إنه بصراعه معها كره كل النساء.

وهنــاك من يعانى من وجود زوجة بجواره لكن عقلها شــارد، فلا هو وحده ولا هو معها، لكنه يصبر من أجل أبنائه، والحسرة تلاحقه على عمره الذى ضاع فى غياب شريكة حياة، وعمره الذى يحياه وحيداً، وما يصبره على ما هو فيه وجود أبنائه معه، ليفرح بنجاحهــم، لكنهم جميعــاً يفتقــدون دور الأم الراعية المهتمة، ويراقبــون هــذه الأم التى أعلنت اعتزالها هــذه الأدوار، ليعلنوا موتها وهى بينهم.

ونســوا جميعاً أن هناك نســاء يعانين من قهر الرجال، الذين يحرصــون على تقييد المرأة بالأولاد حتى يضمنوا بقاءها فى المنزل كخادمة وراعية لهــم، مهدرين كل حقوقها العاطفية والنفســية والماديــة، فهى فــى المنزل كَمٌّ مهمل، ويتفضلــون عليها بأنهم لم

يهينوهـا، بل هـم صابرون علـى بلوتهم، وربمـا يتعاطفون مع امرأة أخرى، أخـذت ومازالت تأخذ من رجل آخر، لكنها دائمة الشكوى والبكاء منه، فيرون أنها ضحية قسوة رجل، أما الصامتة فهى تسـتحق كل ما يجرى لها، لأنها صنعت «فرعون» وكادت أن تعبده، صابرة حتى تربى أبناءها وأبناءه.

وكأن المجتمـع أصبـح كالعملـة المعدنيـة له وجهـان، وجه للرجل والآخـر للمرأة، وددت لو اجتمع الاثنـان فى وجه واحد فـى المرآة حتى نرى مـن يقف بجانبنا ومن هـو عدونا، فالزواج مودة ورحمة، وإن لم يكن ففراق وتسريح بإحسان، هكذا يقول الله سبحانه وتعالى، لكى يجد كل منا ضالته التى افتقدها مع شريكته أو شريكها.

لكننـا دائمـاً ما نجعـل المجتمع هو الـذى يتحكـم فى أدق خصوصياتنـا، حتى خلـف الأبـواب المغلقة، ليرفـض الطلاق، ويبارك قتل الأرواح دون الأجسـاد، ليستسلم هذا للقهر، وليثور هذا على أفراد الجنس الآخر.

ولنفكـر هل من الممكن أن يعيش كل منا منفرداً، أم أننا بالفعل فى حاجة لأن نعيش معاً، مسـتفيدين من تجاربنا السابقة، حتى لا نكـرر نفس الأخطـاء، ولنعش ما بقى من عمرنا بنفس سـوية تحب ما حولها، وإن أغضبها شريكها تتعامل معه كأنها لا تراه.

ليتهم يتذكرون أنهما مكملان لبعضهما، فهن شقائق الرجال،

وهن السكن لهم. فليعيدوا التفكير ليعرفوا أسباب ما هم فيه، ولا يعمموا لأن الاختلاف سمة الحياة، وما لا يتناسب معك يتناسب مع غيرك، إنها سنة الحياة.

ضد المرأة
(٢)

كلانا يحلم بالجنة فى بيت الزوجية، الذى نشارك فى اختياره وتأسيسه، وانتقاء أجمل الأشياء، وننتقى الملابس وكأننا كل يوم فى حفل ساهر، حتى لو كان داخل جدران بيتنا، المهم أننا معاً، كلانا يحلم، فيحلم بعض الرجال قبل الزواج بأن يكون مثل هارون الرشيد، فالمرأة التى يتزوجها يجب ألا يشغلها أى شىء عنه، حتى أولاده، ويبنى الكثير من الآمال على هذا.

لكن عندما يتزوج يقترن فى الغالب بامرأة تقوم بشئون البيت بنفسها إلا من رحم ربى، إن جلس بالمنزل يشعر بالملل لأنها دخلت المطبخ، لإعداد كوب من الشاى له، أو إعداد وجبة، ويزداد غضباً إن قامت بتنظيف المنزل فى وجوده، أو بترتيب خزانة الملابس.

فيعلن ضجره، ويرى أن من حقه أن يخرج ويجلس مع أصدقائه فى النادى أو الكافيه، تاركا إياها تقوم بهذه الأدوار ويحلم أيضاً أنه حين يعود سيجدها فاردة ذراعيها لتستقبله وتعانقه، وكان من الأجدر به أن يجلس حتى تنتهى، ولا غضاضة إن عاونها.

فهذه الأعمال المنزلية ليست من أدوارها، فهى زوجة تريد أن تسعد بزوجها وتسعده، لكن ضيق ذات يد زوجها جعلها تقوم بهذه الأدوار رحمة به، ليس ضعفاً ولكن حباً وتقديراً.

وهنـــاك زوجة تضغط علـــى زوجها وتحضر الشـــغالة لتنظيف المنزل وتجبره على اعطائها أجرها، بالرغم من أنها موظفة، وهو يعيش بالكاد، أحياناً يتباهى بهذا بين الأصدقاء أن الشـــغالة هى التى تسببت فى إيقاظه مبكراً، و ترك المنزل حتى تنظفه، وتنجح هـــذه الزوجة فـــى إصابته بالعديـــد من الأمـــراض المزمنة، لأنها ترغمه على ما لا يستطيع مادياً، وتنجح فى قهره مبررة ما تفعله بالكثير من الأســـباب، وهو يصبر حفاظاً على استمرار الزواج من أجل الأبناء، وبعد زواج الأبناء يكتشف أن عمره انقضى مع زوجة قررت إفلاسه حتى لا يذهب لأخرى ويتركها، إلى أن يصبح كطيرٍ منزوع الريش فيحط مرة واحدة، بكبر السن وبالأمراض ليس حباً فيهـــا، لكن إيماناً بقضاء الله وقدره، وربما يكون شـــاكراً لها على ما فعلته معه، المهم أنه يرفع الراية البيضاء حتى ينتهى عمره.

أما الزوج الآخر الذى يشـــعر بإهمـــال زوجته له، وبأنه أصبح يراها نداً له، ويعاقبها إن لم يكن بعراك، فبانفلات وخروجات مع أصدقائه وسفريات عديدة، ويلقى عليها كامل المسئولية عن البيت والأولاد، وإن ســـألته عن شىء، إما أن يقول شيئاً غير حقيقى، أو يســـألها هو لأنه بالفعل لا يعرف أى شىء عن البيت، وإن دققت النظر ستجد أنها هى المسكينة التى لا تئن، كلما قصر فى واجباته تجاهها وتجاه أبنائه تتحملها هى، فتارة يســـافر، وأخرى يدعى أنه بعمل إضافى، لكنه لا يُدِرُّ على أسرته أى عائد.

وتــرى أن الجميع يقدرها، لكنهم يشــكرون زوجها على رعايته لأسرته، مع العلم أنه الحاضر الغائب، وهى المسئول الرئيس، لكنها تستره، إنها تعمل فى صمت دون شكوى منه ولا من ضيق حاله.

فلا تنخدع بالمظاهــر، لأن هناك من يجيد التمثيل، وهناك من يتظاهر بأنه ضحية امرأة قهرته، مع العلم أنه هو من قهرها، كان من الممكن أن تنجح فى عملها أكثر وأكثر، لكنه آثر تكبيلها بأدوار تئــن بها الجبال، وهو يلهو مع أصدقائه، ويعتمد على راتبها فى تلبيــة احتياجات البيت، فيكون غيابه هروبــاً من أن تطلب منه المســاعدة فى مذاكرة الأبناء، أو شراء بعض الاحتياجات، فيقرر الهروب من القيام بأدواره.

ويغــالى فى اتهام زوجته بأنها تهمله، وهى دائمة الانشــغال بــالأولاد وشــئون المنزل، معلنــاً أنه يصبر من أجــل أبنائه، ولو عقدنا جلســة مناقشــة لمعرفة من ظلم من؟ لاتضح لنا أنه هو الذى ظلم وألقى العبء على هذه الزوجــة الصامتة، التى تربى أبناءه، وتحافــظ على البيت من الانهيار، لكن إن اســتمر على هذه الحال وكبر الأبناء وتزوجوا، ســتكون محاكمته لهــا بقرار لا بحوار، فقد نفدت الحوارات، وأصبحت بلا جدوى، لأنها بكاء على اللبن المسكوب، ولن تبالغ فى إدانته، فقط عليه أن يقف أمام المرآة ليرى نفسه، ويعرف الحقيقة، ساعتها سيرضى بقرار هذه الزوجة، إما الاستمرار بشروط أو تسريح بإحسان، فهذا وقت القرار.

ضد المرأة
(٣)

حدثنى صديق يشكو مُرَّ الشكوى من زوجته، فهى دائماً مع الآخرين، سيدة المواقف هذه أختها مقبلة على الزواج فتفرغ نفسها تماماً من البيت ومن الأبناء ومنى أنا لتقف بجوارها، وتعد كل شىء معها كأنه بيتها، وبعد زواج أختها أو أخيها تقحم نفسها فى حل مشكلاتهم، وتنسى بيتنا وتنسانا، الأهم عندى إنها لا تهتم بمشكلاتنا، كثيراً ما اختلفت معها، فيما يخص تربية الأبناء، ورعايتهم لغيابها الدائم لأدوار بعيدة عن بيتنا، لكنها تتركنى وتفعل ما تشاء، لا هى امرأة عاملة، ولا هى ربة منزل، بل هى داعمة وقاضية فى معظم مشكلات الآخرين، كثيراً ما حاورتها بأن بيتنا وأبناءنا هم الأهم وبعدها يأتى المهم، أنا لا أبعدك عن أخوتك لكن افعلى ما تشائين بعد أن تقومى بدورك مع أبنائك وفى بيتك، كثيراً ما فكرت فى الانفصال عنها، لكن ما يكبلنى دائما ويجعلنى أتراجع عن هذا القرار هم الأبناء، من سيربيهم؟ أنا لى عملى وهو الدخل الوحيد لأسرتنا، من سيكون بجانبهم فى غيابى عنهم، فلتبق هى فى البيت ولو لبعض الوقت، ربما تهدأ وتكف عن الزج بأنفها فى مشكلات الآخرين، وتهتم ببيتها وأبنائها.

كما حدثتنى صديقة لى أنها دائمة الشك فى زوجها، فى كل يوم يتأكـد لها أنه على علاقة بأخرى، وربما بأخريات، لكنها ترضى نفسـها بأنه حتى إن كان كل يوم مع امـرأة أخرى ففى الليل يأتى لينام بجانبها، فسـألتها هل تشـعرين بالرضا؟ قالت: لم لا، إنه فـى النهاية معى وبجانبى، قلت لها ومـاذا بعد؟ قالت: تزوجته عن حب، وشـعرت وقتها أنى فزت بالجائزة الكبرى، وبعد فترة قصيرة، اكتشـفت أننى وقعت فى فخ المسئوليات، وأغلب أحلامى فى حياتى معه لم تتحقـق، حياتنا لم تكن وردية،فمعظم الرجال بعد الزواج يتغـيرون، ولا نعرف كيف نرضيهم كل الوقت، ربما نرضيهـم ونكون كافين لهم بعض الوقـت، خاصة قبل أن ننجب، لأن من يرانا يشـعر أننا فى شهر العسل، أما بعد أن ننجب يشعر الزوج أنه أصبح كمـاً مهملاً، وأن زوجته لم تعد تهتم به، وأصبح شغلها الشاغل هو ابنه أو ابنته،فلم يعد المدلل، وربما يكون ملولاً عندما تطول عشـرتهما، و تصبح حياتهما روتينية كالعمل، أدوار نؤديهـا كل يوم بلا تغيير أو تجديد، حتـى خروجاتنا الخاصة، أصبحت حسـب أهواء أبنائنا فهدفنا إسـعادهم، كثيراً ما ننسـى أنفسـنا إلى أن تضيع أجمل سـنوات العمر والشـباب، لنفاجأ أننا تجاوزنا الخمسـين عاماً، ومازالـت أدوارنا تجاه أبنائنا لا تنتهى حتى يتزوجوا، ونصبح وجهاً لوجه مع شركاء ربما أحببناهم حين اقترنا بهم، وربما لم نحبهم، لكنهم شركاء فى مشروع الحياة.

ماذا لو كنا أثرنا الحياة لأنفسنا، فلا نَقهر ولا نُقهر، فرصتنا للسعادة مهمة فلا يجب أن نضيعها.

وهذا صديق آخر قال إنه عاش شبابه يتيماً، كان البيت بالنسبة له للأكل والنوم فقط، وباقى ساعات اليوم إما فى عمله أو فى جلسات مع أصدقائه على كافيه أو فى مشروعاتهم المختلفة، وهو لا يعرف عن البيت أى شىء، تزوج قبل أن يتم الثلاثين عاماً، لكنه لم يغير من عاداته، وكانت زوجته إن احتاجته فى الذهاب للطبيب بأبنائها لا تجده، فكانت أمها هى التى ترافقها فهو فى عالمه، لكنه تزوج لأنه يجب أن يتزوج ويكون له بيت، وكادت زوجته أن تنفصل عنه قبل أقل من عام من الزواج، لكن الجميع من أهلها وأهله كانوا يحدثونها أنه سيتغير، لكنه بعد عقود من الزمان لم يتغير، فمازال أهم شىء عنده هو الجلسات الذكورية فى أى مكان، يحب التزاور ودخول البيوت الغريبة.

بعد فترة قررت زوجته الانفصال عنه، لأنها صبرت كثيراً وفاض بها، ولضغطها عليه دون تراجع، تركته ليحيا حياة العازب، لكن هل سينجح فى هذا؟ فقد رحل بعض أصدقائه عن عالمنا، ساعتها فقط اكتشف أنه خسر كل شىء الزوجة والأصدقاء.

ضد المرأة

(٤)

حدثنـــى صديق لى وقـــال إن زوجته مع كل خـــلاف له، تعيد عليـــه ما حدث من مواقف ســـابقة، ربما ترجـــع لأيام خطبتهم، أو أيـــام الزواج الأولى، فيشـــعر أنـــه أمام جهاز كمبيوتر يســـجل كل الأحـــداث، ويحفظها فى ملفات، يتم اســـتدعاؤها فى المواقف المشابهة المتتالية.

إنه يشـــكو مر الشـــكوى من ذاكرة زوجتـــه الفولاذية، فهى تتذكـــر كل التواريـــخ، أول لقاء بينهما متى وأيـــن؟ تاريخ ميلاد كل أفراد الأســـرة، تاريخ الخطبة، تاريـــخ الزفاف. سمعته حتى انتهى، لكننى تذكرت شـــكوى صديقة لى من نفس هذه السمة فى زوجها، فاحترت إن نسينا اعتبره الآخر إهمالاً، وفقدنا أدلة للرد علـــى كل المواقف، وإن تذكرنا اتهمونا بأن قلوبنا ســـوداء، لأنها تحزن ولا تعفو ولا تصفح، وماذا عنه؟

يبـــدو أننا فى أمـــس الحاجة لفقدان ذاكرة كـــى نغفر ونعفو، وهل التســـامح مطلوب فى كل المواقف؟ أم أن هناك مواقف لابد أن تحسم، حتى لا تتكرر، ونقع فى هذه المشكلات مرة أخرى.

وقالـــت صديقة لى إنهـــا أحبت رجلاً، وبادلهـــا الحب، وكان حلمهـــا أن يتزوجا، لكنه أعلن عدم قدرتـــه على الارتباط بها فى

الوقت الحالى، فوعدته بمساعدته فى كل شىء، وإن لم يستطع ستفعل كل شىء من أجل أن يجمعهما بيت واحد، لأنها تحبه، وهذا ليس ضعفًا منها ولا هوانها على نفسها، فهى تعرف أنه إنسان له ميزات وعيوب، وهى ليست ملاكاً فلها أيضاً ميزات وعيوب، وحين طلبت منه ذلك، أشعرها أنه لن يفعل، فآثرت الصمت و الابتعاد، ربما يدرك أنها تحبه، ربما يعرف أن وجودها بجانبه هو وجه أجمل للحياة، لكنها مازالت تحبه، ولن ترضى بغيره حبيباً لها، وعرفت بعد فترة أن حبيبها تزوج من فتاة غيرها لم يُقبلها ولم يمسها، وشاء القدر أن تتزوج هى من حبيب زوجته السابق، فماتت القلوب ورحلت بلا رجعة، لكم أن تتخيلوا كيف نقتل الحب بأيدينا، ونتزوج لتكوين أسرة حتى لو كانت فاشلة داخلياً، لكننا نحافظ على شكلها أمام الآخرين، وبعدها نعلن أننا تعساء.

كلما جلست بمكتبى شعرت بأننى بمكتب استشارات عائلية، فأنصح هذا وألوم هذا، فخبرتى فى الحياة وطبيعة شخصيتى تجعلنى أنصح بما يتفق مع شخصيتى، لكن هل يستطيعون تنفيذ ما أقوله؟

جاءتنى زميلة لى تشكو من زوجها الذى زاد بخله بعد تجاوزه عامه الستين، وكلما طلب أحد أبنائه شيئاً لتعليمه أو مظهره، يرفض ويحلف بالطلاق أنه لن يفعل، فى البداية كانت تصبر

وتدفـع من راتبهـا، لكن ضاق بها الحال، هـل هانت عليه حتى تكون ورقة الطلاق هى الكارت الرابح بيده.

عندما حلف فى مراته الأخيرة، قالت له سـتفعل، قال سيقع يمين الطـلاق، قالت هذا قرارك، ففعل مرغماً، وسـأل عن كفارة يمينه، وبعدها عاد وكررها مرات، وتعامل ببخله المعتاد فنهرته، وكان ما بينهما طلاقاً شفهياً، وغادر بيتها هى والأولاد وذهب إلى شـقتهما القديمة وعـاش هناك، هرباً من مسـئولية الأبناء، ومن الإنفاق عليهم، وترك أبناءه لها وهو على قيد الحياة، وخلعته.

الحقيقـة أن البيت دونه أهدأ وأنظف بلا رائحة سـجائره بلا سـعاله الذى كان يؤرق نومها، بلا خلافات على أتفه الأسباب، لا ينقصها هى وأبناؤها أى شىء على الإطلاق.

أما هو فله الله، سـيخدم نفسـه بنفسـه، وليحافظ على أمواله هنـاك، لكن كل ما يقلقها أن يمـوت وحيداً دون أن يدرى به أحد و تتحمـل ذنبه، فوصت أبناءهـا أن يتصلوا به بين الحين والآخر على مدار اليوم براً بوالدهم، الـذى آثر الابتعاد والرحيل حرصاً على ماله.

ضد المرأة

(٥)

جلس معى زميل وكان ضيقه مرتسماً على كل ملامحه، فبدأ بالحديث عن مشكلات أبنائه، وسألته وأين دور زوجتك؟ هل تتفق معك أم معهم؟ قال هى بلا دور، فقط عندما يطلبون منها شيئاً ترسلهم إلىَّ، صمتُ.

لكنه اجتر ما يعانى منه، كان قد تجاوز الثلاثين عاماً، وهو خريج كلية مرموقة، ويعمل فى وظيفة محترمة ذات دخل متميز، لم يفكر فى الزواج من أية فتاة، فأمه تقوم بخدمته ورعايته بكل حب، لكنها بدأت تطلب منه أن يتزوج، وعندما تحدث مع أحد أصدقائه، رشح له فتاة تقاربه فى السن، وهى من أسرة ميسورة، وقد خصص لها والدها شقة فى عمارة يمتلكها فى حى راق، ومع إلحاح صديقه، وافق على زيارتها ليتعرف عليها وعلى أسرتها.

بداية هو لا يحبها، ستكون معاييره هى نسبة من الجمال، والالتزام الأخلاقى والأسرة المحترمة، كل هذا كان متوفراً، لكنها قليلة الكلام، فقال فى نفسه هذه طبيعتها، وهى أفضل من المرأة الثرثارة، تم زواجهما بعد عدة شهور، وأنجب منها البنات والبنين، لكنه وجد خلال هذه الفترة أن صمتها خلال فترة الخطبة ليس من طبيعتها، فعندما بدأ فى الحديث معها،

ومناقشة الأمور المختلفة ظهر جهلها وعدم ثقافتها، وتمسكها بآراء متخلفة، ولم تكتفِ بهذا، بل أصبح لها رأياً خاطئاً تريد أن تفرضه عليه.

قلت له وماذا بعد؟ قال كيف أترك أبنائى مع أم كهذه؟ ستضيعهم، ضقتُ بها، فكرت بالزواج بأخرى أجد نفسى معها، لكننى لم أستطع أن أفعل فليس لدى مال يفتح بيتاً آخر، ربما أخطأت حين تزوجت امرأة لم أعرف كيف تفكر، لأنها لا تفكر ولا تقرأ، توقف عقلها عن الفهم، عانيت معها كثيراً حتى أصبت بارتفاع فى ضغط الدم و مرض السكر، وفى الأخير كان مرض القلب، وهى بكامل عافيتها، لا تعانى من أى مرض، سمعته كثيراً، وبعد أيام من شكوته دخل المستشفى نتيجة أزمة قلبية، ورحل.

وفى إحدى جلساتى مع صديقة لى قالت: إنها أحبت زوجها، وكانا يحملان مؤهلات متوسطة، فقررت أن يخوضا معاً معركة الحصول على مؤهل جامعى، حتى يترقيا فى عملهما، ورزقهم الله البنات والبنين، وبالفعل حصلا على مؤهل جامعى، وتم تسوية حالتهما الوظيفية بالمؤهل الجديد، وزاد دخلهما، التحق الأبناء بالمدرسة، وبدأ هو فى الغياب لفترات عن بيتهما.

فى البداية كنتُ ألتمس له العذر، فهو يعمل عملاً إضافيًا كى يواجه متطلبات أسرتنا، لكن بعد فترة أخبرنى زميل لى أن زوجى الذى أحببته ودعمته فى عمله وتعليمه على علاقة بامرأة أخرى،

مطلقــة ولم تنجب، عندما صارحتــه بما علمت، ترك البيت وقال إنه تزوجها، تركنى مع أبنائنــا وحدى، حدثت القاصى والدانى من زملائنا فى العمل عن إهماله لى ولأبنائه، وعدم إنفاقه عليهم، وبعد عدة شــهور، بدأ يرسل لى مبالغ هزيلة لا تكفى لأى بند من احتياجات أبنائى.

فقررت أن أرفــع دعوى طلاق للضرر، وأطالبــه بنفقة لأبنائه وغيرهــا مــن القضايا التــى يرى المحامــون أنها مهمــة، وكلها لصالحى أنا وأبنائى، ومازالت القضايا تنظر بســاحات المحاكم، لكن ندمى على حبى له لا ينقطع.

وفــى أحد أيام عملى جلــس معى زميل لى، كنتُ أرى ســعيه الدائــم بين عمــل وعمل آخر كى يوفر احتياجات أســرته، ولديه سيارة صغيرة يوصل زوجته وأبناءه فى الصباح إلى عملها ومدرسة الأبنــاء، ثم يأتى للعمل باكراً جــداً، وففى موعد عودتها والأبناء يغادر العمل ليعيدهمــا إلى البيت، كل هذا يفعله برضا دون ضيق أو فرض من أحد.

ولكنــه حكى وقــال لى بمرارة: زادت متطلبــات تعليم الأبناء والإنفاق، وأصبح دخلى لا يكفى، وكنت أقترض من زملائى حتى أكمل مــا يحتاجونه، وهى لا أعرف أى شــىء عن دخلها، أنا لا أطالبها بشــىء، ولكن وصل بها الحــال أن يأتى محصل الكهرباء أو الغــاز يدق باب بيتنــا، فتأخذ منه كعب الإيصــال ولا تدفع،

ترى معاناتى والأعباء الملقاة علىَّ وضيق ذات يدى ولا تدفع جنيهًا واحداً، ولا تسد أى من متطلبات البيت، وأنا صامت.

تجبرنـــى على خروجـــات وغيرها مع إخوتها أســبوعياً، وأنا أدفــع برضا، شــعرت أنها تذبحنى بســكين باردة، فــى الفترة الأخيرة كنت أتركها تخرج معهم هى وأولادى، إنها لا تشعر بما أفعله لأجلهم، لقد أهملت نفســى ومظهرى لأننى ألبى متطلباتهم بالكاد،وماذا بعد؟

ضقت بها، افتعلتْ مشــكلة معى وتركــت بيتنا وذهبت لبيت أبيها وتركتنا وقت الدراسة ، كأنها تكبلنى بقيد.

ووصل الأمر لإخوتى وإخوتهــا، فتدخلوا للإصلاح لأن الأبناء كبروا وهم فى حاجة للاســتقرار، لأنهم على أبواب الامتحانات، وعــادت لكننــى لم أعد كما كنت، قررت التراجــع عن الكثير من الأدوار التــى كنــت أقوم بها، فهى زوجة مهملــة لا تعرف ماذا ينقــص البيت وما به، أفاجأ بطلباتها بعد عودتى من الخارج، لا تهتــم بمتابعة دروس الأبناء، فاض بى الكيل، لا هى امرأة عاملة تدعم بيتنا مادياً، ولا هى ربة بيت، وكان قرارى الأخير، اتركى عملك وتفرغى لبيتــك وأولادك، هددتنى بترك البيت، وهددتها بالطلاق.

قصور خاوية و قصور عامرة

لكل قرار مقدمات، فحين نقترب ويزداد تعلقنا بالآخر، فهذا مقدمة لتوطيد العلاقة بيننا، ونكون حريصين على الاطمئنان عليه طول الوقت، حتى إن التقيناه، كل ما يعنينا أن نملأ ناظرنا منه، وإن استطعنا لشقنا القلب كى نحتويه، وإن لم نلتق نكون كثيرى الاتصال به لسماع صوته، كى نطمئن عليه وإن لم نستطع لانشغالنا، يكفينا الحوار كتابة إن أمكن.

ندرك أم لا ندرك هى علاقة تلاقى أرواح، وتعانق قلوب، أصبح لديها ما يدفعها للآخر، فنسعى للاقتراب، ويتحقق هذا بالارتباط برباط مقدس، يكون فى كل مكان وجودنا معا مشروعاً، ويباركه كل من حولنا، نشعر أننا امتلكنا الدنيا بما فيها، فالحب يرسم جنة تحتوينا وتزيد.

إن حافظنا على عاداتنا معا كما بدأناها بالاهتمام ومحاولاتنا الجاهدة لإرضاء الآخر، دامت هذه العلاقة وتوطدت أكثر وأكثر، حتى نتشابه فمن يرانا يعتقد أننا إخوة أو أقارب، صرنا نتشابه حتى فى الملامح، وكثيراً ما يغير كل منا فى طباع الآخر، وتكتمل الصورة، لتزداد أسرتنا فرداً بعد فرد، حتى تكتمل شركتنا، بمن جاوروا القلب قبل أن تراهم العين، وينصب كل اهتمامنا على

أبنائنـــا نتاج علاقتنا التـــى نميناها، وجعلناها بنيانا مشـــهوداً، ليســـتمر النجاح فى هذه العلاقة، وتقربنـــا أيامنا من بعضنا أكثر وأكثر، وتمر رحلة الحياة بالحب بكل سلاســـة، لأننا معاً سعدنا ومعـــاً تحملنا الآلام، وإن اختلفنا تحاورنا ووصلنا إلى حل يرضينا ويضيف كل منا للآخر خبرة وفكرة، فكلانا يكمل الآخر، ونصبح واحداً، يتوقع كل منا ما يفعله الآخر، ونعرف أســبابه من نظرة عـــين، نفهم مـــا عليه الآخر، حزيناً كان أم ســـعيداً، وإن اختلفنا وثـــار أحدنا يصمت الآخر حتى يهدأ، نروى زهور حياتنا بالرضا والتفاهم فى قصور عامرة.

وإن لم نحافـــظ على حياتنا معا، واعتبرنـــا أن زواجنا هو صك ملكيـــة، واكتفينا بهذا، معتقدين أن زمـــن الحب ولى، وأننا الآن نواجـــه صعاب الحياة ويجب أن نتكاتـــف معا، فالرجل دوره هو العمل وتوفير المال لتلبية احتياجات أســـرته، وإن كان لا يكفى، تكمل شـــريكته، وإن لم تكن تمتلك دخلاً أو مالاً تتزايد المشكلات بينهما، وتبدأ المشـــاحنات ونختلف، إن صبرنا مر الأمر بهدوء، وإن لم نجـــد مـــا يصبرنا صعدنـــا، وأعلنا عن خلافنـــا للآخرين، وسمحنا لهم بالتدخل فى حياتنا الخاصة، وإن أظهر الآخر عناده عاندنا، وإن طال العناد عشنا حياة الانفصال، نحن معا أمام الناس فقـــط، أما فيما بيننا فنحن منفصلان، كى نربى الأبناء فقط، وتمر الســـنوات كلها من أعمارنا، لتمر مرحلة الشـــباب، ونفاجأ بأننا

كبرنا أكثر من اللازم، لكن نظل مكبلين بقيد غير موجود، حفاظاً على شكل الأسرة، حتى نراعى الشكل الاجتماعى، وكأننا أسرة، كيانهـا خاو من الداخل، فنقتل أنفسـنا ونعيش أجسـاداً عليلة، مصابـة بأمراض كلهـا نتاج الضغوط النفسـية «القولـون والضغط والسكر..» وأرواح ماتت لأنها بلا أمل فى الحياة.

وأحيانـا نكون أكثـر جرأة ونعلن رغبتنا فـى الانفصال، وفى داخلنا ماذا سنفعل فى تربيتهم؟ هل ستأخذهم الأم وتربى وحدها؟ أم تتركهم وتتزوج بآخر ربما يسعدها ويعوضها عن سنوات عمرها التى ضاعت مع شـريك مخالف، وماذا عن أولادها، هل سـيتزوج طليقها بآخرى وكيف سـتتعامل زوجته مع أبنائها؟ وإن أخذتهم وتزوجت، كيف سيتعامل زوجها معها ومع أولادها؟

إذاً مـاذا نفعـل، أتكون البدايـات خطأ؟ و ما هـى الخطوات التى يجـب أن نتبعها؟ هل الأفضـل زواج الصالونات؟ أم الزمالة أم الجيران أم الأقارب؟ مشـكلة المشاكل، كيف نعيشها بالطريقة الصحية ؟

مَنْ ضحية مَنْ؟

حين يتقدم شاب لخطبة فتاة دون سابق معرفة، وترفضه يرى أنهـا جرحت كرامته، ويعتبرهـا معركته التى لن يقبل الهزيمة فيها، فيعيد الكرة مرات، ويدفع بوسـاطات كثيرة، لا لشيء إلا لأنه لا يقبل أن ترفضه فتاة، هو فى عين نفسه أجمل الشباب شكلاً وموضوعاً ، لماذا رفضته ؟

يقف تفكيره عند هذا الحد، ولا يسـأل نفسه ربما تحب شاباً آخر، ربما قلبها مشـغول به، ربما لا ترضى به زوجاً بالرغم من عدم وجود آخر بحياتها، ربما لديها خطط لمسـتقبلها فى تعليمها أو عملهـا، لكنه يصر على الارتباط بها مهما رفضته، وينجح فى هذا، لكن ماذا بعد؟

عندمـا يتزوجها يعتقد أنه ملكها، لكنه واهما، ربما رضخت لضغوط مارسـها أهلها عليها، وربمـا تعبت من مصارعته ورفضه ورفـض طلبه مرات، فأغلقت قلبها، وسمحـت لعقلها أن يقبله، وربما لم تسـمح، لكنها فـى النهاية تزوجتـه، ربما تكون غير راضية لكنها رضخت لسـنة الحيـاة و هى الارتباط، حين يضمها لصدره، يعرف تماما أنها فقط تستسـلم لمحاولـة اغتصابه لها، اغتصاب مشروع لأن الجميع باركوا هذا الاغتصاب، ووثقوه بورقة

رسمية، يعرف أنه يعانق جسداً بلا روح أو قلب، هل هذا ما كان يريده؟ امتلاك فقط، أم حب وزواج وشراكة، مودة ورحمة.

إن حملت حتى دون رغبة منها، كان حملها قيداً جديداً لها، فتساورها نفسها أن تتخلص من جنينها، لأنها توقن أن قدومه سوف يحكم قيدها بيد من تزوجها رغما عنها، ربما تحاول، وربما تجد أن هذا القادم سيكون عالمها الجديد وأملها، وصحبة تمتد لعقود، تخلص فى تربيته، وفى إعطائه كل حبها الذى فُطرت عليه، ويشاء الله قدوم ابنها، وتعرف تماماً أنها لن تستطيع الفكاك من القيد الأول، لتضع بيديها قيداً ثانياً، فكيف تترك زوجها، وإن تركته، هل ستترك ابنها ؟ وإن أرادت أن تأخذه معها، هل سيقبل زوجها ؟ حتى إن لم يكن يرغب فى تربية أبناء، كأن ابنه هذا رباط مقدس آخر، يضمن به بقاء من تزوجها عنوة رغما عنها، فهذا سلاح جديد امتلكه.

غالبا ما ترضى بهذه الحياة، متجاهلة هذا الزوج لتعيش مع ابنها، وبعده أولادها يأساً فى الخروج من هذا الشرك الذى وقعت فيه، لتبقى مع أبنائها متجاهلة شريكها، معلنة أن بقاءها معه فقط من أجل الأبناء، فإما أن يرضخ، وإما أن يبحث عن امرأة أخرى ربما تحبه، بعد فشله فى الإحساس بالحب مع شريكته أمِّ أبنائه.

وكم من قصة كهذه نراها فى الحياة، اثنان يعيشان معا من

أجل الأبنـــاء، وماذا بعـــد أن يكبر الأبناء ويســـتقلون بحياتهم، و يتزوجـــون ويتركـــون بيت الآباء والأمهات، هل ستســـتمر هذه العلاقة بلا ســـبب، أم أن أحد الزوجين سيكون رحل بعد أن أضاع عمر شريك حياته، فى حياة أشبه بالكابوس الذى قيدنا به.

عند العرب قبل الإسلام، كانت الزوجة حين تشعر بعدم رضاها عن زوجها، تســـتلقى على فراشـــها عكس زوجها، فيوقن أنها لا تريده، فيعلن الانفصال، وكان زواجهم بلا وثيقة، فقط بالأعراف والعادات والتقاليد، وبعد الإســـلام، عندما ذهبت امرأة للرســـول عليـــه أفضل الصلاة والســـلام تطلـــب منه الانفصال عـــن زوجها، و ســـألها عن الأســـباب، أعلنت أنها لم تعد ترغب فى اســـتكمال حياتهـــا الزوجيـــة معه، فطلب منها بأن ترد لـــه ما أمهرها به، ويتم لها بعد ذلك الانفصـــال عنه، وكان هذا الحدث هو مرجعية دينية لقانون الخُلع، الذى هاجمه الكثير من الرجال، معلنين أنه بدعة، وأنه نتاج التحضر الذى نعيشه بسبب تعليم المرأة وعملها.

وماذا إن لم ينفصلـــوا بالخلع؟ هل بقضايا الطلاق؟ لماذا لا يكون الانفصال بالتراضى كما حدث فى بداية الزواج باتفاقات موضوعية، لكـــن حين يقع الطلاق يبخس الرجـــل حقوق المرأة، ويعرف كيف يؤلمهـــا خاصة إن كان لـــه منها أبناء، أمـــا إن لم يكن لهما أبناء، ستستمر فى علاقة زواج أشبه بالموت.

وكثيراً ما يرفض الزوج تطليق زوجته بالتراضى أو حتى بحكم

المحكمة ويماطل ويخالف الدين فيذرها كالمعلقة، ويذهب ليتزوج بأخـرى تاركاً إياها، لا هـى متزوجة ولا هى مطلقـة إمعانا فى إذلالها، وكم امتلأت سـاحات المحاكم بمثل هذه القضايا، لأن فى نفسـه مرضًا لا يقبـل أن ترفضه المرأة التـى تزوجها، لأن القرار قـراره فى الارتباط وفى الانفصال، معللاً هذا بأن الشـرع أباح له هذا الحق.

وأحيانا تكون المرأة هى المريضة، فبعد اقترانها به رغما عنها، تتفنن فى مضايقته وإفشاله، وكشف كل عيوبه وإن لم تجد، تسمه بمـا ليس فيه، وتعاند وتعاند حتى يرضخ لطلبها الطلاق، خلاصاً مَـنْ مَنْ أذاها، وأحيانا تكـون النهايات بجرائم القتل إما للزوجة أو للـزوج أو لذويهما أو حتى أبنائهما، لأنهما فى بعض الحالات يكونـا كالحيوان المفترس الذى يمعن فى الانتقام من الآخر، حتى لو كان فى جزء منه وهو الأبناء، ونعيد التسـاؤل مرة أخرى، من ضحية من؟

الـزواج مودة ورحمة، لابـد أن يبدأ بالقبـول بين الزوجين، وبعدها تأتى باقى المراحل للارتباط، وتأتى الخطبة كى يتبينا أهم صفاتهمـا، إن رضيا تم الزواج و إن اختلفا افترقا دون زواج، دون إنجاب أبناء دون مشكلات بين العائلتين.

الزواج شـراكة مدى الحياة، لابد أن تكون على أسس سليمة، برضـا الطرفين، لأنهما سـوف يتحملان معاً الرسـالة فى إعمار

الأرض، بــترك ذرية صالحــة، وهذا يتطلب عمــراً طويلاً وصبراً وصحــة وأموال، بأولويــات، فلابد أن يكون بقبــول وموافقة من الطرفين، حتى نحقق الهدف المنشود منه.

بلا ذكريات

فى كثير من الأحيان نتمنى أن نبدأ حياتنا الآن بما حققناه من نجاحات، وأن نكـون بلا ذكريات بلا خصومات، بلا أخطاء، بلا أفراد تسـببوا فى جرحنا، وفى ضياع أجمل سنوات العمر، لأننا استفدنا مما مررنا به فى حياتنا السابقة.

وبداخلنا قرار، سـنبدأ حياتنا من جديد، مع أشـخاص جدد يشـبهوننا فى الكثير مـن الصفـات، يعرفون معنى الاسـتمتاع بالحياة، يشاركوننا أفراحنا وأحزاننا، ربما وقتها يعرف الحب طريقـه إلى قلوبنا، وندرك أن الحياة لا ينقطـع بها الأمل، مهما كبرنا، ولنعلم أن الصبر هو طريق الأمل.

المهـم أن نعرف كيـف نبدأ، ومـع من نبدأ، حتـى لا نكرر الأحزان والآلام التى عشـناها من قبل، حتـى وإن كان المتبقى من العمر سنوات قليلة، فجميعنا لا يعرف متى سيرحل،

لكـن الأمل فى إيجاد السـعادة مـازال موجـوداً، ربما نراها ونعيشـها، ربما يكون عاماً واحدًا سعيدًا أفضل من سنوات العمر الفائتـة كلها، حتى لو كان هو آخر عام فى عمرنا، لأنه سـيكون عاماً بالعمر كله.

بلا رجعةً

مهمـا ادعينا أننا كبرنـا وأننا نمتلك الخـبرة الكافية، فإننا مازلنـا ننخدع فى البعض، لا لأننـا أغبياء، لكن لأنهم عرفوا من أين يدخلـون حياتنا، هذا بادعاء الثقافـة والعلم، وهذا بالإطراء علينا، تارة على ادائنا فى العمل، وتارة على ملامحنا وأخرى على ملابسنا، المهم أنهم ينفذون إلى حياتنا.

نرحب بهم ونشـعر أننا اكتسبنا أصدقاءً جدًا، يعيشون معنا لحظة بلحظة كأننا معهم أصبحنا فى رباط مقدس، سمه ما تسـمه إخوة صداقة زمالة، لكن هذه العلاقة تترك أثراً سلبياً على حياتنا فى العمل وفى أسرنا، تشـغلنا عن مسارات حياتنا التى عهدناها واعتدنا ممارستها .

وفى بعض الأحيان نرى أنهم أسـرتنا البديلة، فهم يعيشـون معنـا، دائماً مـا يحكون لنا عن أدق تفاصيـل حياتهم، فى غياب شـركاء لنا فى الحياة، كل علاقاتهم وممتلكاتهم أسرار عسكرية، فـى كثير من الأحيـان ننخـدع دون أن ندرى، ونحـاول إصلاح ما انكسـر، نفاجأ بـأن من اعتبرناهم أصدقـاء وزملاء يتراجعون ويعلنـون أن لديهم قيوداً تمنعهم من البقـاء معنا، فهل بعد هدم المعبد وهـم معنا خطوة بخطوة، يعلنـون التخلى عنا، ويرجعون

القرار لنـــا، فلنفكر هل يمكن أن ننتظر حتـــى يحلوا قيودهم، أم ماذا؟ فهم لا يريدون أن يضحوا بأحد من أجل أحد، ولا يستطيعون أن يجمعوا بين الاثنتين.

ننتبـــه ونعلن أننا وقعنا فـــى الفخ، ونفكر كيـــف نصلح ما تم إفساده؟ هل كنا على حق حين اعتقدنا أن الحل هو الفكاك والفرار من القيـــود؟ كان لدينـــا مبرراتنا، والكل يعلمهـــا، ويتفق معنا، المشـــكلة ليســـت الآن فى قرار الفرار، ولكن كيف غاب عن عقولنا التمييز بين البشر؟ ولمَ ارتبطنا بمن هم أدنى؟

هل أسرونا بحلو الكلام أو نجاحهم؟ نحن الأكثر نجاحاً منهم، نحن الأذكى، المشكلة لديهم أنهم لم يختاروا الطريق السليم للنجاح فى حياتهم، وبالتالى لم ينجحوا، وأصبحوا كالنبات الطفيلى الذى يعتمد على غيره حتى يعيش، لأنه لا يستطيع أن يعيش وحده.

وإلا لمَ تركه شريكه وابتعد عنه، بالرغم من أنه يعيش معه فى نفس المكان، لكنهم كالغرباء، كلما عشنا كلما اكتسبنا الخبرات، المشكلة الكبرى أننا فى خضم معاركنا الحياتية ينشغل عقلنا كثيراً فـــلا نُعمله، وفى هذه اللحظة ينفـــذ إلى عقلنا وأحياناً إلى قلبنا من يتودد لنا، ويعلن أنه الوحيد الذى يهتم بنا وينصحنا، ونشـــاركه أفراحه وأحزانه.

لكـــن حين ننتبه ندرك أننا كنا مغيبين، بلا عقل، لأن حياتنا العملية أكســـبتنا كيفية التعامل مع الأحـــداث المختلفة، لكنها لم

تثقلنـا فى التعامل مع البشـر، كل من عرفناهـم فى حياتنا كانوا ناجحين مثلنـا، لهم أهداف، ويشـغلون مناصـب مختلفة، أما الآخرون الذين يهبطون علينـا ذكاؤهم لفظى فقط، هم بلا هدف، هم لا يعرفون ماذا سيفعلون غداً؟

فـى الكثير مـن الأحيان نتعاطـف معهم، ونسـاندهم لأنهم ينتقلـون من أزمـة إلى أخرى، وهم كثيرو الحكـى عن أزماتهم، نحـاول توجيههم ومسـاعدتهم، لكن إخفاقاتهـم لا تنتهى، هم دائمـا فى صراع مع الآخرين فى مجال العمل إن وجد، وفى محيط أسـرتهم، هم لا يحسنون إيجاد الحلول لمشـاكلهم، ففى كل يوم يصابـون بأزمـات صحية نتاج ضيـق أو عدم قـدرة على مواجهة مشـاكلهم, أو إيجاد حل لها، فيسـقطون ويستسـلمون للمرض، فنتعاطف معهم ثانية، كلما حاولنا الابتعاد عنهم، نرى أنهم فى أمس الحاجة للعطف والشفقة، فهم لم يحددوا هدفهم للمستقبل، وهـم فى مرحلة الشـباب، والآن لا يسـتطيعون أن يبدأوا الحياة فى سـن متأخرة، تزيد شفقتنا وعطفنا عليهم، حين نقترب منهم نسـاعدهم، ونعتبر أن من يمنعوننا عنهـم قلوبهم جافية، لكننا نكتشـف متأخراً أنهم ربما يتسـولون بمشكلاتهم، يحكون حتى تلين قلوبنـا، فقد حبانا الله بنعم من عنـده هى الرحمة، فنرحم عزيز قوم ذل، لكنهم مع الأسف لا يقدرون هذا.

فتبقى علاقتنا بهم خبرة مررنا بها، نلوم أنفسـنا أننا انزلقنا

بها، ونأخذ القرار بأنه لا ضرر ولا ضرار، لكل منا طريقه، يفعل ما يشـاء، بعد أن نعلـن عن فترة للتفكير، القـرار فيها معروف مسبقاً، ولكل منا قراره المهم أن ينفذه، حتى نغلق الملفات بالطريقة المناسـبة التى لا تضر أياً منا، ويبقى السـؤال، لمَ تأخرنا فى فهم هؤلاء ؟ وكيف نتعلم من هذه التجربة التى مررنا بها ونحن كبار؟

هـل لأننا أصبحنا نجوم المجتمع فى العلـم والوظيفة، ويرانا الغربـاء بأننا الأغنى والأرقى، فيقـترب منا طمعاً فيما لدينا، إن تغطرسـوا لن يحصلوا على شىء، وإن شكوا حالهم، وقلة حيلتهم عطفنـا عليهم وحاولنا مسـاعدتهم بـأى طريقة، إمـا بالتحفيز أو التشـجيع، وطـرح الأفكار والحلـول والطرق التـى يجب أن يسلكوها، وإن اسـتلزم الأمر بمساعدتهم بالأموال، فكل ما فعلنا ومازلنـا نفعله لوجه الله، يفيد الآخريـن، ويعاونهم فى مصاعب الحيـاة، المهم أن يفهموا أننا نفعل ما نفعل لوجه الله، وإن أخطأنا فى ثنايا هذا العطاء، فلنستغفر الله.

بلا عتاب

كثيراً مـا تعاندنا الأيام، ونختلف مع مـن نحب، لأنه اليوم آلمنا، نغيب بعض الوقت، حتى نهدأ ونستعد لحوار ربما يصلح ما حدث بيننا، ربما نتصالح ربما تتناجى عيوننا، ربما نسمع كلمة اعتذار، او اعتـذار ضمنى، ويزول الجفاء، فوجودنا معا كفيل أن يذيب الجليد الذى غطى القلب وملأه.

يومـاً بعد يوم، نعود كما كنا يكفينا وجودنا معا، وإن ابتعدنا لا يفارق صوتهم أذننـا عبر الهاتف، كى نطمئن على من نحب، ونشـعر بالارتياح لمجرد معرفة أين يكون، ونلاحقه بصوتنا، إلى أن يعود، هذا هو حبنا، وهذه هى علاقتنا فنحن لا نفترق، سـوى ساعات النوم، أما غيرها فإما أن نكون معاً جسداً كاملاً، وإما صوتاً لا يفارقنا.

نتمنـى ألا نفترق أبدا، لكـن طبيعة العمـل واختلافها بيننا يفرض ذلك علينا، أيام أخرى ونختلف، ونكرر نفس المأسـاة من بُعد وجفـاء واختفاء، أحيانا تطول المدة، وأحياناً تكون سـحابة صيـف، تكفينا كلمة حتى نصفح ونعـود ونلتقى، لنكون معاً مرة أخرى، ربما يحدث هذا بلا عتاب، مجرد التلاقى يكفينا.

أما إن زادت غضبتنا، وكان السـبب جلـلاً فكثيراً ما نصمت،

ونبتعــد وإن تحاورنا عــن بعد لا نرد بما يغضــب، لكن الجروح بالقلــب لا تهدأ، نتظاهر بأن لا شــيء بيننــا، والجرح ينزف، ونعــود ونلتقى، لكن الحوار لا يُرضى، فنخرج عن صمتنا، ونعلن عن أســباب غضبتنا، فيرى الآخر أنها أسباب واهية، لا تستحق كل هــذا الغضب والحزن والبُعد، لكنه لا يعلم أن بداخلنا أســبابًا أقوى بكثير مما أفصحنا عنها، لكننا لو أعلناها ربما يقتله الكلام.

لكننــا نقرر الرحيــل عنهم لأنهم لم يفهمــوا، ولم يقدروا من يقف معهم أو ضدهم، كثيراً ما أوضحنا، لكننا أرقى من أن ننزلق إلى عتــاب ربما يجرح، وربما يؤلم ويكســر القلب الذى أحببناه، فنبتعد ونغلق خلفنا باباً لم يكن بابنا، لكن الصفحات قد امتلأت، ولم يعــد بها مكان لحــرف أو جرح، هى النهايــة كما أردناها، ربمــا لم نُردها لكننا فى كل غضبة نضع بها حرفاً، إلى أن اكتملت وأغلقنــا ملفاً كنا لا نريد إغلاقــه، لكن الأمر تجاوز كل ما أردنا، وأصبح حقيقة.

ثقافة الصمت

يعانى البعض منا من صــراخ وارتفاع صوت الغاضب والمنفعل، وهــذا رد فعله، إن زاد عن حــده أصبح الحوار شــجاراً، وهناك البعــض الذى يصمت لأنه يرى أن الصراخ لن يفيد، فقط ســيعطى للآخر فرصة للتدخل فى موضوعات شديدة الخصوصية.

لكــن الصمت هنا ليس معناه الرضا، أحياناً يكون غضبًا، وأحياناً يكون ثــورة، فرد فعل كل منا مختلف، الصمت ليس ضعفاً، أحياناً يكــون قمة القــوة، أن تصمــت إذاً أنت تكظم غيظــك، لكن لا تأمن لهؤلاء الأشــخاص لأن لديهم أجندة، يدونون بها ما يحدث، إن تم إصلاح ما فات ربما يمحون منها بعض الأخطاء، وإن لم يتم معالجة الموقف تلو الآخر، فســتمتلىء كل صفحــات الأجندة، وعندها ربما يغلقونهــا، ويغلقون معها علاقــات ودوا لو اكتملت، ودوا لو دامت مدى الحياة، لكن هؤلاء الأشــخاص هم الأرقــى فى التعامل، حتى إن وجهوا لك اللوم، فإن كل شــىء سيكون مرصودًا بمواقف وأدلة، هــم أدركوها بالفعل، فلا تغضب، هــؤلاء حوارهم عتاب، وأدلتهم فضفضــة، اسمعهم حتــى ينتهوا، طالما أنهم خرجــوا عن صمتهم، لأن الصمت رقى واحترام، من يدرى ماذا كانوا ســيقولون فى لحظة انفعــال، إنهم آثروا الصمت، على والحــوار وقت الغضب، حافظوا على العلاقات بينكم.

حتــى إن اختلفتــم، وزاد خلافكم، ســيكون كلامهم قرارات وإنذارات، ربما نهج يتبع حين الغضب، ربما لفت نظركم لشــىء بســيط لكنه يغضبهــم، لكن إن لم يلتزموا بالعهــد والاتفاق الذى أعلنوه، ســيغلق الآخر ملف علاقتكم دون حــوار، ويكون صمته رقياً واحتراماً.

فاحرصوا على هــؤلاء لأن بداخلهم قيمًا راقية، تبدأ العلاقات بود واحــترام، وتعطى الكثير من الفــرص، وتُنبه وتُنذر برقى، وإن لم تنجح فى تعديل ما بكم من سمات تؤلمها، ســتصبر لفترة، وتتجــاوز عنها، لكنها لا تنســى، وحين يمتلئ الملف، ســتغلقه ولــن تتحاور ثانية فيه، ويكــون الصمت هنا إنهاء علاقة بحلوها ومرها.

نحن جميعاً بشر والبشر خَطَّاء، المهم أن يدرك أنه أخطأ، وأنه آلم الآخــر، ويعتــذر فالإعتذار ليس ضعفاً بل هــو منتهى القوة، ويحافــظ على العلاقــات ويرضى الغاضب، ويخفــف من ثورته، وستراجعه نفسه ليغفر ويسامح.

احرصــوا على إزالة آثار أخطائكم فى نفوس راقية لا تهين ولا تهمل، فعلاقاتنا بالآخرين هى حــب واهتمام، حتى إن اختلفت صورتها، فنحن نحب من حولنا فى البيت وفى العمل وفى السكن، جميعنا نحب، لكننا أيضــاً نغضب، ونرى اختلاف الآخر معنا، إن كان علــى حق اتبعناه، وإن لم يكن على حق هجرناه، لكن دون

قطيعة، هكذا تكون العلاقات السوية، تتأرجح بين رضا و رفض، بين هدوء و غضب.

حافظوا على من حولكم، واسعدوا بهم، فهم رزق، الصداقة رزق، حب الناس رزق، فلا تتكبروا على أرزاقكم، فتحرموا منها، جميعنا يحتاج لوجود أشخاص حولهم، يحبونهم ويدعمونهم، ويقدرونهم، أبناء اليوم هم أصدقاء الغد، وأصدقاء اليوم هم سندنا وقت أن ينفض الجميع من حولنا إلى عوالمهم الخاصة، التى ندعى أنها دوامة الحياة، فنحن ندخل الدوامة بأنفسنا، بأسباب مختلفة، وربما هرباً من الوحدة، ربما بعد أن نفد صبرنا على علاقات آلمتنا، ربما بعد انتهاء مهام إنسانية داخل أسرنا، المهم أننا قمنا بواجبنا تجاه الآخرين، الآن نعيش فقط لأنفسنا، لكن بجانب من يحبنا ويحترمنا ويحتوينا، ربما يكون هدية السماء لنا، بعد رحلة حياة أعطينا فيها بسخاء، اليوم يومنا بعد صمت دام عقوداً، نعلنها أن الحياة أحياناً تبدأ بعد الخمسين.

خارج الدائرة

نمر فـــى حياتنا بأزمات لا نرى الصواب إلا فى اختيارنا، فقد ســيطرت علينا أفكارا وكأنها مقدسات، نحارب القاصى والدانى، هــذه حياتنا ولن نرضى بغير مــا اخترناه، يتدخل هذا، ويحاول هذا إبداء الرأى، موضحاً نقاط الضعف، وعدم اتساق الآخر معنا، لأننا فى رأيهم مختلفان.

لكننا نصر على المضى قدماً فيما اخترناه، ربما نشعر أننا حققنا الحلــم فى وقتها، ونرفع راية النصر، ونعلن أننا نجحنا، ووقفنا ضد التيار، الفوز لنا، لا ننكر أن إحساس لحظة النصر يكاد يصنع لنــا أجنحة نحلق بها فى سمــاء النجاحات المختلفة، وما هى إلا شــهور إن لم تكن أيامًا نصدم بعدها، فقد طفت على سطح علاقاتنا بعض الاختلافات، وتكشــف لنا أن حلو الكلام كان محض خيال، وأن المواقف كانت شــعارات، يســودُنا الصمــت، فنحن لم نفعل شــيئاً، لكننا انســقنا وراء حلم كاذب، ربما يعــود بنا من طريق نجاحاتنا خطوات كثيرة حققناها، نصارع أنفســنا كما صارعنا من تدخلــوا لإيضــاح جوانب الصورة بحلوها ومرهــا، نعاند حتى لا نؤكــد للآخرين أنهم كانــوا على حق، وأننا لم نفشــل، محاولين الإصلاح مراراً.

نصبر كثيراً حتى ينفد صبرنـــا، لنخرج خارج الدائرة، ونرى ما غاب عنا حين اخترنا، فســلبيات قرارنا كانت أكثر بكثير من إيجابياته، وحياتنا قبل اتخاذ القرار كانت أفضل، لكننا لن نعود إليها ثانية، فالمواقف هى هى، والمبادئ لا تتغير، كل ما تغير هو نحن، فقد اكتســبنا من تجاربنا ومواقفنا مع الأحداث والأشخاص خبرة كبيرة.

لكن وقتها ســندرك أن من داخل الدائرة، غير الذى خارجها، فحين نكــون خارج الدائرة تتضح لنا أشــياء لم نكن نعلمها، وأن شــيئاً واحداً منها لو رأيناه دون حجــاب، لما خضنا هذه المعارك، ولا عادينــا الآخرين، لكننا نعلنها أننا لــن نعود لنخنق أرواحنا داخــل دائرة، ولنعلنها أننا الآن أفضل، وهذا قرارنا، ربما نكون قد خســرنا أشياءً فى هذه المعركة، لكننا فى النهاية كسبنا أنفسنا التى أثقلتها المواقف، وأصبحت عليمة ببواطن الأمور.

هكذا هــى الحياة، يوم حلو ويوم مر لكننــا نحياها، المهم أن تضيف لنا هذه المواقف الخبرة الكافية، حتى لا ندخل فى معارك خاســرة، ولنضع أنفسنا دائماً خارج الدائرة، كى نرى كل الخطوط واضحة دون زيف أو تجميل.

يعتقدون أنهم أحياء

لأنهم يأكلون ويشـــربون وينتقلون من مكان لآخر يعتقدون أنهم أحياء، وهم أموات فوق التراب ليست لهم حياة، بل أدوار يقومون بها لتحقيق أهداف ينشـــدونها، أو هى رســـالة يحملونها، إلى أن يأتى أجلهم، يدورون فى ساقية السنين التى تسير فى إتجاه واحد، ولا يمكـــن مهما حلمنا أن نغير اتجاهها أو حتى لأن نوقفها، فكما أتينا إليها دون إرادة منا، سنرحل عنها دون إرادة منا، لكن الأمل حياة، والســـعى إرادة وعمل بالأســـباب، لكن لمن؟ لنا أم لغيرنا، ســـؤال كثيراً ما نطرحه على أنفســـنا، وآخـــرون لا يطرحونه ولا يفكـــرون فى مبتغاهم مـــن الحياة، فهم مقيـــدون بقيود وعيونهم مغماة، يسيرون دون أن يعرفوا إلى أين تأخذهم خطواتهم، لكن إن رُفعـــت الغمامة عن عيونهم، ربما مرضوا وأُصيبوا بالدوار، وربما تســـمرت أقدامهم حيث هم، وربما ثاروا علـــى الدوران، لكن من سيزيل الغمامة من فوق أعينهم، من يجرؤ على تغيير المسار، ربما تكون رسالة من الله، ربما تحملها مواقف، وربما يحملها أشخاص يظهرون فجأة فى حياتنا، المهم ماذا يفعلون؟

منهم من يستسلم للدوران فى الساقية، لأنه قارب على الموت، بإحســـاس المهزومين، ومنهم من ســـيحاور نفسه، ليتراجع لكنه

يستمر فى حياة ألفها وألفته، فقد اعتاد الخنوع والتضحية من أجل الآخريــن حتى آخر قطرة من دمه وآخر لحظة من حياته، ومنهم من يراها رســالة مــن الله، دعوة للتغيير فهــذه فرصتهم الأخيرة فى الحياة، وفى تغيير المســار، ربما يعرفون معنى السعادة، وإن لم يجدوها لأســباب مختلفة، يكفيهم شرف المحاولة، ليشعروا أنهم أحياء، لهم عقول وقلوب حرة بلا قيد ولا غمامة، فقد حركوا مياه حياتهــم الراكدة التى غرقوا فى ثباتهــا، تأتى المكافأة بأمل جديد نبحث عنه، وحياة جديدة نحياها، دعوة للحياة إن أتت لا تضيعوها فهى فرصتكم ربما لا تجدوها غداً.

حتى لا نندم

نمـر فـى حياتنا بمواقف عديـدة، نحتار فـى حلها، فهنا نقسـو لأننا نريد أن نقوِّم من حولنا، ونجعلهم يفهمون أننا لسـنا مثـل الآخريـن، وأنهم يجب أن يراعوا أننـا مختلفون فى المظهر والجوهر، وأحياناً نقسـو لأننا نرسـخ قيمًا فى شـخصية أبنائنا حتى يستطيعوا اسـتكمال حياتهم بعد أن نرحل، وأحيانا نحافظ على مسـافات فى علاقتنا مع الآخرين فى العائلة، وفى مجتمعنا المحيط «عمل أو سكن» حتى نضمن استمرار الحياة بيننا واحترام كل منا للآخر.

كل هذا نفعله بإعمال العقل، وتمر السـنوات ونحن نعيش مع الجميع دون أى روابط، ونفتخر بأننا نشبه مجتمعات الغرب، كل يهتم بشئونه فقط، ولا يتدخل فى شئون الآخر، لكننا نفاجأ بأننا نعيش بمفردنا، فالأبناء كل منهم يشـق طريقه ويبنى مسـتقبله ومسـتقبل أبنائه، والزملاء مازالوا يدورون فى فلك الأبناء مثلنا، لكن الحقيقة أننا نعيش فى وهم، لأننا فى المقابل ننسـى أنفسنا، فلا نعرف كيف نتعايش مع هذه الوحدة.

فـكل منا فى حجرته داخل أسـرته، أو فى شـقته بلا صديق بـلا حياة، ونرى رؤيا العين أننا بعد أداء رسـالتنا، أصبح الموت

والحياة متساويين، كل هذا نتاج مملكة العقل، التى آثرت بناء صروح على الاستمتاع بالحياة، حتى إن كنا نخرج ونسافر فى رحلات، فهى فقط لأن الأبناء يريدون هذا.

أما إن أشركنا القلوب التى تسع الجميع الأبناء، والإخوة والأقارب والزملاء والجيران، سنكون نموذجا يقارب ما عاشه الكبار، بعلاقاتهم الاجتماعية التى لم يفرقوا فيها بين الأخت والجارة والصديقة..

المهم أن نعيش بالقلب والعقل معا، وألا يتغلب أحدهما على الآخر، حتى لا نفشل فى حياتنا، وحتى لا نهدم أرواحنا، ونبدو مهزومين رغم كل ما بنيناه، وما حققناه من نجاحات على كل المستويات داخل أسرنا وعائلاتنا وسكننا وعملنا، والذى يحسدنا عليه الآخرون، ولا يعرفون أننا نعيش فى قصور خاوية.

امرأة تبنى وأخرى تهدم

المــرأة هى الأم التى ترعى وتربى، وتحلم دائماً أن يكون ابنها رجلاً ذا شــأن عظيم، فتحسن تربيته، وتغرس فيه القيم، وترسم له مســارات لحياته حتى يحقق حلمها، إنها تريده أفضل منها، وأفضل من زوجها الذى هو والده، إنها تريده أن يكون الأفضل على الإطــلاق، فنجاحه هو نجاح لها، هو شــهادة موثقة على قيامها بتربية جيل جديد يحمل اسم العائلة، ويكون سنداً لها ولإخوته، فهو مستقبلها الذى تتمناه وترسمه، هى مدرسته الأولى.

وفــى كل خطوة يخطوها نحو مســتقبل أفضل، تشــعر بالفخر كأنه جوهرة أضيفت إلى تاج وضعته على رأسها يمثل نجاحها فى رســالتها فى إنجاب الأبناء، وفى تربيتهم التربية السليمة، ولا يؤلمها أن يكمل مســيرته فى رحلة علم أو عمل بعيداً عنها، كل ما يهمها أن يكون ناجحاً، وتشــير إليه بأنه ابنها، حتى إن لم يعد عليهــا هذا بأى مردود مادى، يكفيها أنها نجحت فى إنتاج ثمرة عمرها، التى أصبح يشــار إليها بالبنان، وفى كل نجاح له، تشعر بنجاحها هى، هكذا تكون الأم.

وأحيانا تكون الأخت الكبرى التى تتنازل عن أن تحيا حياتها الخاصة، بتربية إخوتهــا ورعايتهم وتحمل إرث أبويها، لتكمل

رحلتهما فى تربية أبنائهما، وتصبح هذه رسالتها الأولى، مضحية بمستقبل كانت تحلم به لنفسها، فى عملها أو فى الزواج بمن تحب وإنجاب الأبناء، لتصبح هى الأم البديلة، بإرادة خالصة منها، وتشعر مع نجاح كل أخ من إخواتها أنه نجاح لها هى، حتى بعد أن يبدأ كل منهم حياته الخاصة وينفضوا من حولها، فهى الأم التى أعطت ولا تنتظر الرد.

وهناك الزوجة السوية التى إن أحبت زوجها، كانت الداعم الأول له حتى يحقق حلمه، وربما حلمها الذى لم ولن تستطيع تحقيقه، لأن واجبها فى تربية أبنائهما سيمنعها منه، خشية أن تقصر معهم، فتوجه كل دعمها لشريك حياتها، الذى تشعر أن نجاحه هو نجاح لها، حتى وإن كانت فى الخفاء، لا يعلم عنها أحد فهى الجندى المجهول خلف هذا الرجل، الزوج المحبوب الذى يحمل رسالة علم أو كفاح فى تجارة، أو تأسيس شركة أو مصنع، أو فى أى مجال، هذه المرأة تتحمل عن زوجها كل أدواره تجاهها وتجاه أبنائهما، حتى يتفرغ تماماً لعمله، حتى ينجح، ويحقق أحلاماً كثيراً ما كانت تحلم بها، إنها المرأة الزوجة المحبة لزوجها، التى تضحى بنجاحات ربما تكون هى الأجدر بتحقيقها، لكنها فضلت أن يكون زوجها هو الذى يحققها ، حباً فيه وفى علاقتها به.

أما المرأة التى يفشل زوجها فى أن يجعلها تحبه، فهى امرأة

لا تدعــم بل أحياناً تهدم، كلما اقترب من تحقيق حلم له، تختلق المشكلات والخلافات، حتى تبعده عن مسار نجاح بدأه، أو تتنصل مــن أدوار من الممكن أن تقوم بها، لكنها ترى أنه ليس أفضل منها حتى يحقــق هو نجاحات، وهى تتحمل عنــه كل أدواره، فتلقي عليه مشــكلات الأبناء ودراستهم ومشــاغباتهم وغيرها، وهدفها الأوحد أن تضع العثرات فى طريقه حتى لا يكمل مسيرة نجاحه، وتنجــح فى إلقاء الأعباء عليه حتى لا يســتطيع أن يرفع رأســه، وتحرص على أن تصبح جيوبه خاوية، فيســعى وراء لقمة العيش من عمل لآخر، ويخرج من ســباق لو استمر فيه لأصبح من النوابه والعلماء المتميزين محلياً وعالمياً، لكن هذا ســوف يؤلمها، فهى لا ترغب فى نجــاح هذا الزوج الذى امتلكها حتــى لو كان يحبها، لكنه لم يجعلها تحبه.

وهناك المــرأة التى تحب زوجها، لكنهــا تقلق من نجاح هذا الزوج، لأنها تخاف أن يميل لمن تكون أفضل منها تعليماً وثقافة، ربما تكــون زميلة عمل، ربما يكون حبًّا قديمًا فى حياته، إحدى فتيات أســرته التى أحبها فى مرحلة شبابه، فيكون هدفها الأول هو تكبيله بقيود الأولاد وتعليمهم، دائمة الشكوى، دائمة إغراقه فى مشــكلات عائلية بين إخوته وإخوتها، وتلبسه رداء الحكماء حتى يفعل هذا بحب ورضــا، والهدف أبعد من هذا بكثير، إنها تريده أمامهــا، حتى لا يغيب وترى عيناه مــن هى أفضل منها،

وتنجح فى نزع ريشــه، فلا يســتطيع الطــيران إلى امرأة أخرى، ويصبح قيد أسرها، وتمر سنوات عمره دون تحقيق أى نجاح، لأنه لم يتميز فى عمله مع أنه ماهر فيه، ولم يتميز فى تربية أبنائه، ولم يســتطع أن يجمع ثروة يتكئ عليها حين يتقدم عمره، ويصبح غير قادر على العمل مرة أخرى، وينتهى عمره وهو شــاكر لهذه المرأة التى حاكت له أكبر شــبكة دخل بها ،ولم يستطع أن ينجح بقدر مهاراته التى سلبته إياها، وأدخلته فى حوارات ومشاحنات هو فى غنى عنها، ودونها ستمر الحياة بسلاسة، ويحقق أضعاف مــا حققه، ويكون المردود لها ولأولادها، لكن إحساســها بالنقص جعلها تصيغه بالطريقة التــى تضمن بقاءه بجانبها ليس حبا بل إحساســاً بالمســئولية، وبأنها لا تســتطيع أن تفعل ما يفعله هو، فتعطيــه البرســتيج كاملاً فى مقابل فشــله وعــدم تحقيقه بعض طموحاتــه، وهو راض تماماً عن مســار حياته، وربما شــاكر لها تقديرهــا له ولدوره المهم ككبــير العائلة، حتى لو كان تدخله فى مشــكلات صغيرة لآخرين يستطيع أصحابها حلها بنفس القدرة، وربما أفضل.

هذه هى المرأة التى تســتطيع دفع رجل نحو النجاح والتفوق إن أرادت، وتســتطيع أن تطرحه أرضاً وتتســبب فى فشله، وأخرى تدخلــه دائرة لا يعــرف كيف يخرج منها لأنهــا أحكمت غلقها عليــه، وكل ما عليه فعلــه أن يدور داخل الدائــرة التى رسمتها

له، كأنه يسير فى مكانه دون تقدم، ناهيك عن المرأة التى تجعله يكــره حياته ويمرض، وربمــا يفارق الحياة بــإرادة كاملة منه كنــوعٍ من الخلاص، أو يتيه فى الشــوارع فاقدًا الهوية والانتماء، شريداً بلا مأوى ولا عمل كالحيوانات الضالة التى تشاركه الأرصفة وتحت الكبارى التى يقيم فيها، ويمكن أن نرى هذا السيناريو من الرجــل الداعم والرجل الهادم، لكنه يفعلــه على الملأ دون دهاء، يوقــف تقدمها ونجاحها بقرار لأنه الزوج، وله القوامة على هذه الزوجة مهما علا قدرها عليها أن تطيعه، إن استســلمت عاشــت كما يريد هو، وإن رفضت عاندها وقهرها، وإن نجحت فى الفرار منــه بالطلاق أو الخلع يكيد لهــا ويوقف قطار حياتها، فقد حولا الزواج من مودة ورحمة إلى ســلطة وحب امتلاك وتحكم، حتى لو كان بغير حق.

أبغض الحلال...

أجمع علمـاء الدين والمتخصصـون فى علم الاجتمـاع وغيرهم علـى أن الطلاقَ هو أبغضُ الحلالِ عند الله، لكنهم لم يختلفوا على أنه حلال، فكثير من الزيجات لو اسـتمرت سـتكون هلاكاً لأحد طرفيهـا، أو لكليهمـا معاً، لا يختلف فى هذا أثـره على الزوج والزوجة.

فهنـاك زيجات تمت بشـكل تقليدى، بما يسـمى فى عصرنا الحـالى زواج صالونـات، والحاكم فيها أن نعـرف أصل عائلة كل طرف منهمـا، وتبدأ الاتفاقات الرسمية لإتمـام الزواج، ربما لا يتحابان، بل يتوادان، ولكن ينجح كل منهما فى إرضاء شـريكه، وتلبية احتياجاته المختلفة، وتسـتمر هذه العلاقة التى تسـودها المودة والرحمـة، ليصبح وجود كل منهما فـى حياة الآخر جزءاً مكملاً له، وينجبان الأبناء ويربيانهم، وتسـتمر بهما الحياة فى أدوار، كأنهمـا موظفان فى شـركة، لكنها وظيفـة مدى الحياة، تنتهـى برحيل أحد الزوجين، وهذا يسـهل الأمـر على المتبقى منهما فـى البحث عن شـريك آخر، أو يكتفـى بالذكريات بقية حياته مع شريكه الراحل أو الراحلة.

وأحيانـا يكـون زواج الصالونات هذا هو فقـط للاطمئنان على

الشـابة وعلى الشاب، لأنهما سـوف يعتنيان ببعضهما البعض، أفضـل كثـيراً من حياة الوحـدة القاتلة، أو العربـدة بلا ضابط أو رابـط، هكذا يفكر الآباء لأبنائهم، وأحياناً تتعرض الفتاة لخطبة أو قصة حب فاشـلة، فتقبل من يتقدم للزواج بها، ظننا منها أنه ربما يكون علاجاً لها من صدمتها فى من أحبت، أو يكون للشـاب نفس الظروف، فكل منهما يبحث عن من يداوى جرحه.

وتأتـى المفارقة فـى أن يكون لكل منهمـا تجربته الخاصة مع شـريك كان يخطط لقضاء حياته معـه، بمواصفات ارتضاها، لكن عدم إتمام هذه الشـراكة جعله لا يأبه لعيوبه، و إنه سيبحث عن مميزاته فى من يرتبط به فيما بعد.

فقد جرب الارتباط عن حب وفشـل، فليجـرب طريق العقل، ربمـا ينجحان معاً، وربما تأتى الصدمة من أول يوم، فكلاهما لن يجد ما يغفر به لشـريكه الذى ارتبط به، فليس لديهما ذكريات حب، أو حلم شـباب ولى حين فشـلا فى إتمام شراكتهما، وربما شـعر بكسرة القلب، فارتبط بأخرى لينتقم من حبيبته فى شخص زوجته فيؤلمها، إن صبرت ربما اسـتمر معهـا، حين يدرك أنها غير حبيبته السابقة التى عذبته، وإن لم تحتمل، كان الفراق .

وأحيانـا يكون الزواج عن معرفـة وزمالة أو صداقة، فيرسمان الحلـم معاً ويقتربان، لكن انشـغالهما بالاسـتعداد للزواج معظم وقتهما، جعلهما لا يـدركان عيوباً يراها القاصى والدانى فى هذا

الشـريك، وربمـا يدركها، ويكون عنده أمـل أن يغير ما به حين يلتقيان ويسـتمران معاً، وتأتى المفاجأة بعد الزواج بأن لكل منهما عاداته وسـلوكياته التى تربى عليهـا، والتى لن يغيرها من أجل شريكه، فيصطدمان، ربما يحاولان مرة ومرات التقارب والإصلاح بينهما، ربما ينجحان، وربما يكون الانفصال هو الطريق الأسلم.

فكثيراً ما التقيت برجال انفصلوا عن زوجاتهم وعقبوا على هذه التجربـة، إلى أن قـال أحدهم: لو لم يكن هنـاك طلاق وهو بيدى لكنت انتحرت، وهذا هو الرجل صاحب العصمة، الذى بيده عقدة النكاح، فما بالنا بالمرأة التى هى دائما المُسـتقبِلة، هى من تنتظر أن يتقدم لها الرجل لطلب يدها للزواج، والتى إن تزوجت ونفرت من هذا الزوج الذى بيده الزواج والطلاق، لا تعرف ماذا ستفعل؟

لتمتلىء سـاحات المحاكم بمثل هذه المشـكلات، وغالبا يكون هنـاك أطراف أخرى هم الأبناء، حين يحرص كل من الشـريكين علـى الإنجاب، كى يثبت صلاحيته كذكـر كان أو أنثى، فتتعدد أطـراف الخلافـات، ونـرى هناك ضحايـا هذا الحـلال، لأنهم سيدفعون ثمن هذا الانفصال نفسيا وماديا، فسوف يكيد كل طرف للآخـر فى أبنائه، فهذا سـوف يمتنع عن الإنفـاق على الأبناء، وهذه سوف تمنعه من رؤيتهم، وتتكرر الكوارث.

ماذا إن صبرا وتحملا حتى يربيا الأبناء، ربما ينجحان، وربما نـرى صورهم فى صفحات الحوادث بالجرائد اليومية، ناهيك عن

تشويه الصورة لكل منهما، وربما نراهما فى مستشفيات الأمراض العقلية أو النفسية.

لذا فإن الله سبحانه وتعالى قد شرع الطلاق، إن استحالت العشرة بين الزوجين، فهذا أفضل لهما، وأفضل لأبنائهما الذين سوف يعيشون فى بيئة الكراهية والتعنت والتجاوز لفظياً أو بدنياً، فلن يصبحوا أسوياء وتكون تجربة والديهما أمام أعينهما فاشلة، وربما يرفضون الزواج حتى لا يكرروا المأساة التى عايشوها، وكان لها الأثر السلبى عليهم.

الطلاق حلال فهو حل من حلول فض الخلافات التى استحال إصلاحها، هو أمان لزوجة ظلمها زوجها وأبناءها، هو حلال حتى لا نفسد جيلاً يأتى ليكمل ما بدأناه، حلال لأن الله كتبه وأحله، حتى يجد كل منهما ضالته، ويجد شريكاً أفضل من شريكه، ليصلحا معاً ما أفسده شريك الأمس، ولتكن حياتهما أفضل مما كانوا عليه، ربما يكون الزوجان بلا عيوب لكنهما لم ينجحا فى احتواء شراكتهم، فيظل الشعور بالحاجة لوجود شريك متفهم، وإلا تصبح الحياة بلا شريك أفضل.

أشباه رجال

كلمـا التقيت إحـدى صديقاتى، آلمنى مـا تحكيه عن زوجها، وأحيانـا ما تحكيه عن طليقها، أراها تجـتر ما عانت منه معه، فأصبرهـا وأدعوهـا لغلق ملف هذا الـزوج أو الزوج السـابق فى حياتها، حتى لا تتذكر شيئاً ينغص عليها حياتها .

أدعوها لنسـيانه، لكنها تخبرنى أنها حتى لو نسـيته، ماذا ستفعل فى سنوات عمرها التى أضاعتها معه، إن أنجبت منه أم لم تنجب، أنينها يجعلها لا تعرف ماذا تفعل، ذلك فضلا عن تقرب الآخريـن منها لأنها لم تعد مرتبطة، فـى البداية كانت ترى أن تقرب الآخر منها هو حب، وتستبشـر خيراً، لأنه ربما يعوضها عن معاناتها مع زوجها السابق،

لكن مع الأسـف تكتشف أن الآخر جاء فقط لاستغلالها، رافعاً شـعار دعمه لها، محاولاً رسم نفسه على أنه غيره تماماً، وكأنه بعد أن عرف منها أهم عيوب زوجها السـابق، ينحى عيوبه حتى لـو كان نسـخة منه، ويجيد التمثيل، وبعـد أن ترتبط به عاطفيا وتتعلـق بـه، رويداً رويداً يبدأ فى الكشـف عـن وجهه الذى لا يختلـف عن طليقها، لكن أملها فى أن تغيره حتى يرضيها قائم، لكن صدمتها تزداد يوماً بعد يوم، لتحزم مشاعرها لتفارقه وتبتعد

عنــه، بعد أن يترك فى قلبها جرحاً ينــزف طول الوقت، لكنها لا تستســلم، فهناك أخرون منهم زملاء العمــل، ومنهم الأقارب الكل ينصب شــباكه لها، ربما ينجح فى اصطيادها، وفى النهاية تكتســب الخبرات فى التعامل مع الجنس الآخر، فهى لا تعترف بأنهم رجال، بل هم ذكور فقط، كل ما استفادته أنها أصبحت تقرأ كل من تــراه، ربما قبل أن يتحدث وتعلن أنهم فى الغالب نســخ كربونية من بعضهم، لا توجد اختلافات جوهرية بينهم جميعا.

وكلما نصحتها أن تتــزوج، لأنها تعانى من الوحدة، تجيبنى كيــف؟ معظم من تقدموا لى، لديهم أســر بالفعل، كما أن حالتهم المادية لا تؤهلهم للزواج الثانى، وكأنهم يريدون أن يعيشــوا على نفقتى وأنا لا أريد هذا.

علاقة معقدة لا تنتهى، فهذه مطلقة، وهذه أرملة، يجد بعض الذكور أنها فريســة ســهلة لقضاء وقت معها، دون ارتباط، دون تحمل مســئولية، ربما فقط ليثبت لنفسه أنه مازال مرغوباً، وأن الكثير من النساء يتهافتن عليه، ليفرد ريشه كالطاووس.

وتبقــى هى تجتر آلامها من زواج فاشــل نتيجة تعنت زوج وعدم احتوائه لها، وأحياناً عدم تقديره لدورها فى حياته، لتتحمل عنــاء الوحدة، وربمــا ترتبط بأى ذكر فقط حتــى لا تكون وحيدة وتغلــق بيديها باباً ينفذ منه الآخرون لحياتها بدافع الإعجاب أو التعاطف معها، مع العلم أن زوجها السابق يعانى أكثر منها ليس فقط من الوحدة، لكن من تحمــل أعباء كانت تتحملها عنه، فهى

ربــة بيته الذى أصبح خاويًا بل ومتوحشًــا بعــد أن رحلت عنه، يتمنــى لو عادت له، لكنه لم يترك لديها أى مبرر للعودة، لأنها آلمهــا كثيراً، وهى على يقين أنه لن يتغــير، إن كان فيه أمل لماذا تركته، فقد تركته يأساً منها فى تغييره وإصلاحه .

ربما يعوضهــا الزوج الجديد عن معاناتهــا، ويكون هدية من الله لهــا على صبرها، وربما يزيــد كراهيتها للرجال فتغلق قلبها وربما تغلق باب الارتباط برجل لأنها لم تجد فى من حولها رجلاً بالفعل، فمعظمهم أشباه رجال .

فالمــرأة تحتاج من يدللها، من يشــكرها على ما تقدمه له، من يحتويها، ساعتها لن تحسب ماذا قدم لها، لأن وجوده فى حياتها جعلها ملكة متوجة بحبه وصحبته، أتاح لها أن تحيا بحب وسط الجميع، كلما كانت الزوجة راضية عن حياتها زاد بريق عينيها، وزالت ملامح الكبر من على وجهها، وعادت طفلة تنشــر البهجة على زوجها وعلى كل من حولها.

رفقا بالنســاء فهن زينة الحيــاة لأى رجل يريد أن يحيا برقى واحترام وســعادة، قدر إرضائه لها قدر ســعادته معها، معادلة سهلة لماذا يفشل الكثير من الرجال فى تحقيقها ؟ فالمرأة من أبسط المخلوقات ترضيها كلمة وأحيانا همسة بكلمة حب أو لمسة شكر، ألا تستحق هذه المرأة من رجلها ذلك نظير وجودها معه ورعايتها له ولأولادهما.

الفراش المهجور

حين يدب الشباب فى أبداننا نرسم الآمال والأحلام فى من سيشاركنا فراشنا، فإن وجدناه، بدأنا معا رحلة بناء القفص الذهبى، كل منا يفعل أقصى ما لديه لإرضاء الآخر، حتى مع ضيق ذات اليد، نقدم الوعود بأن زواجنا ليس نهاية المطاف، فبإمكاننا استكمال بناء البيت، والإضافة والتجديد.

وبعد زواجنا نحاول جاهدين أن نفعل ما وعدنا به لإسعاد شريك الحياة، وفى استكمال ما ينقص بيتنا، وأحيانا أخرى يكون شريك الحياة كعفريت الفانوس السحرى، أو كعصى موسى، نطلب منه فيحقق ما نتمناه ونطلبه، وإن لم يستطع بدأنا فى الغضب منه و معاقبته .

فى بداية هذه الحياة يبدأ أحد الشريكين فى التنازل، إما لحب أو لرغبة فى استمرار الحياة فقط، حتى لا نعلن أننا فشلنا، وفى شهور قليلة غالبا ما يحدث حمل، فيكون شغلنا الشاغل هذا القادم الذى نتمناه، والذى لولاه ما أقدمنا على الزواج، وتحمل المسئولية التى كنا بمنأى عنها فى بيتنا الكبير، حيث الأم والأب والإخوة والأخوات .

وحين يأتى المولود ثمرة هذا الزواج ينصب كل اهتمامنا به،

وأحيانا ننسى أنفسنا، لكن تكون لنا وقفات عدة، فمتطلبات واحتياجات هذا المولود لابد أن تتوفر، نطلبها باللين وإن تأخرت يعلو صوتنا، فنحن لا نطلب شيئا لنا بل لابننا أو ابنتنا، إن استطعنا تلبية هذه الاحتياجات دون الآخر، همشناه وعشنا مع طفلنا، وإن لم نستطع، بدأت رحلة الخلافات وإدخال الكبار فى حل معظم مشكلاتنا، ونبدأ رحلة الهجر حتى داخل بيتنا الذى لم يكتمل بناؤه حتى الآن، وإن طال الهجر مع الصمت، كان طريقنا للانفصال، وإن نجحنا فى التوافق ورأب صدع علاقتنا، كان الأمل فى طريقه للتحقق فنعيد ترتيب أوراقنا وحياتنا، بعيداً عما كنا نحلم به، بشكل واقعى، ونسرد ما نود تحقيقه، ونضع جدولاً زمنياً لتحقيقه، ونخط بأيدينا خطوطاً كثيرة، هذه تقربنا من بعضنا، وهذه ترسم النهاية، لعلاقة أمضينا سنوات نحلم بها، بفستان أبيض وزوج كما يقول الكتاب، أو كما نتمناه، وتمضى الأيام ونحن معاً من أجل تربية الأبناء، لكن المواقف تبعدنا كل يوم أكثر وأكثر إلى أن يأتى اليوم الذى يخلو الفراش فيه من دفء المشاعر، والأحاسيس فنهجره ونعيش معاً كالغرباء، ولا يدرى كل منا ما يشعر به شريكه، هل بقاؤنا معاً يعنى حباً أم صبراً؟ أم رضا بما قسمه الله لنا، لكننا وصلنا إلى مرحلة الفراش المهجور من أحدنا.

ربما ينجح الآخرون، وربما يعيش معظمنا فى هذا الواقع،

دون أن يعلنــوا عنه، نهاية الأحــلام وبداية التعايش مع الواقع، وكأننا جيران، أو صحبة فى رحلة لا نعرف متى ستنتهى، تموت المشاعر ليبقى الواجب والعادات والتقاليد، وكأننا نؤدى أدواراً فى عمــل، كلها واجبات مقابل حقوق، معادلــة صعبة تقتل أجمل ما فينا.. الإحساس بالحياة.

لأن الحــب هو الحياة، إن لم نبدأ علاقتنا به، متى ســنعرفه، يقولون أن الحب يأتى بعد الزواج ،وآخرون يقولون إذا دخل المأذون من الباب خرج الحب من الشباك، لكن الحقيقة يصبح التعود على وجود الآخر هو الحقيقة حتى إن لم نحبه.

هزة أرضية

حين تستكين الحياة وتوشك على الانتهاء، يتساوى ما نصبح فيه مع ما نمسى فيه، فيسودنا ركودٌ، فلا شيء يسعدنا ولا آخر يؤلمنا، تضيع منا آمالنا، فقد مرت سنوات عمرنا فى سعى نحو النجاح وتكوين ثروة، لننتبه أننا قاربنا أن نفارقها .

فجأة يلقى الآخر بكلمة تحرك مياه الحياة الراكدة، لا نعرف هل أفادنا أم آذانا، لكنه من المؤكد أن هناك شيئاً ما تغير فينا، ننهض وكأننا كنا فى غفوة، بالرغم من أننا لم نفقد الوعى لحظة واحدة، لكننا لم نكن لنشعر بالحياة من حولنا.

اليوم فتحت أعيننا وآذاننا، لنترك حياة بالرغم من أننا ألفناها، إلا أننا سئمناها، فكانت حياتنا بها تشبه حياة القبور، ليس ثورة عليها الآن، لكنها إفاقة، ربما نحيا حياة أخرى، لكننا لا نعلم هل ستكون سعيدة أم حزينة، لا نعرف ماذا سطر القدر لنا فيها .

فنحن لا نستقبل كل ما يُلقى إلينا، لكن فى هذه اللحظة يتوقف العقل ليفتح الباب ليسمح للمشاعر أن تجتاحه، وتتحكم فيه، كثيراً ما يكون الجديد مختلفاً، فيلفت نظرنا، ويبدأ التأثير فينا، فتفاصيله مختلفة، فى الكلمات وفى الحوارات، ننجذب ونقترب

ونتلمس الكلمات حتى لا نجرح، بالرغم من أنه لم يفعل شيئاً إيجابياً لنا، ولم يقدم شيئاً يأسرنا به، سوى الكلمات والحوارات وكثير من الاهتمام.

نقف لنعتبرها استراحة محارب، طالت به المعارك حتى سرقت عمره، رويداً رويداً يصبح هذا القادم جزءاً مهما فى حياتنا، ربما نعطيه بعض الاهتمام، لكننا مازلنا متحفظين فى علاقتنا به، إلى أن ينهض العقل فتارة يرفضه ويدعونا للابتعاد عنه، وتارة يعقد مقارنة بين الحياة معه، وحياتنا السابقة، فتأتى لصالحه، لا نعلم مع من سيقف العقل، أم ستستمر معارك العقل والقلب، ونحن بين حجرى رحاياهما.

ماذا حدث للمصريين؟

(١)

سـؤال مهم طرحه المفكر الكبير دكتور/ جلال أمين، فى كتابه الذى يحمل هذا العنـوان، وتناول فيه التغيرات التى طرأت على الشـعب المصرى نتيجة سـفر البعض منه إلى بعض الدول العربية فى المشرق والمغرب، فى الفترة ما بين ١٩٤٥ وحتى ١٩٩٥.

فبـدأ برحلـة عودتهم إلى مصر حاملين معهـم بعض الأجهزة الكهربائية «جهاز التسجيل والمروحة وجهاز الفيديو وغيرها من الأجهـزة» وبدأ الريفيون منهم فى هـدم مبانيهم الطينية، وبناء غيرهـا تضاهى بل وتزيد فى فخامتها عن المبانى فى القاهرة، وقد تغير شـكل الريف المصـرى بعد هذه الهجرة المؤقتـة، كما أنهم عادوا بثقافة استهلاكية.

فلـم يعد الفلاح المصرى منتجا كما كان، فقد أصبح يشـترى الخبـز الـذى كان يصنعه فى بيتـه، والطيور التـى كان يربيها أصبح يشـتريها، وبدأ بإقامة المشروعات المختلفة بقريته محلات لبيع الدجـاج الأبيض والأحمر، مخابز للعيش بأنواعه المختلفة، ومحلات للوجبات الجاهزة.

وهـدم الفـرن الذى كان يتميـز به البيت الريفـى وحل محله البوتجـاز، وأصبـح التلفاز هو الذى يجمع أفراد الأسـرة، وربما

يأتى بعض الصغار من الجيران لمشاهدته عندهم، وعلت الأطباق المستقبلة للأقمار الصناعية أسطح المنازل الريفية، وفقدوا الاحتفال بأعياد الحصاد المختلفة.

تغير كبير فى شكل الحياة الريفية التى اقتربت فى الشكل والمضمون من حياة المدينة، فأصبح معظم الريفيين يقضون مساءهم أمام التلفاز، وينامون فى النهار.

وأصبح الفلاح يقوم بحرق مخلفات الزراعة، بعد أن كان يعتمد عليها كمصدر للطاقة فى فرن منزله، ولأول مرة ترى بالقرية أكوام القمامة فى أراض تم إهمالها، وبعدها يتم إشعال النار بها حتى يتخلصوا منها، فالريف الذى كان يتميز بأنه هو المنتج، والذى يتميز بنقاء هوائه والسماء الصافية، أصبح يعانى من التلوث.

تغير كبير طرأ على هذا المجتمع المترابط، حتى فى تغير الأزياء التى يرتديها النساء والشباب، فى معظمها تراها تحاكى ما فى المدينة.

ماذا حدث للمصريين ؟
(٢)

تطـور المجتمع المصرى فى نصف قـرن ١٩٤٥ – ١٩٩٥ عندما طرح الدكتور جلال أمين هذا السؤال لم يغفل التغيرات التى حدثت ومازالـت تحدث ليس فى الريف فقط ولكـن فى طبقات المجتمع المختلفـة، فتحدث عن الحراك الاجتماعـى Social Mobility، وبـدأ فى طرح أسـبابه، والتى أرجعها إلى انتشـار التعليم، بعد الإعـلان عن مجانيته وتوفيره لكل أبناء الشـعب المصرى، والذى سمـح لأبناء الفقراء بالالتحاق بالمـدارس مثلهم مثل باقى طبقات المجتمـع، والذى فتح لهم أبواب العمل المختلفة فى كل المجالات خاصة الوظائف الحكومية، والتى كانت تقتصر على أبناء الطبقات الأعلـى، لأن التعليم يعد من أهم وسـائط ترقية الفرد وبالتالى هو الطريق الأمثل للحراك الاجتماعى .

ولكن نظـراً لزيادة أعداد الخريجين فى هـذه الفترة، ظهرت مشـكلة أخرى هـى البطالة المقنعـة، ذلك لوجـود وزارة القوى العاملـة، التى كانت ملتزمة حتى فـترة الثمانينيات بتعيين كل الخريجين جامعيـين أو حاصلين على تعليم متوسـط، إلى أن زاد عدد العاملين بالجهـاز الإدارى للدولة، ونتيجة فرض الضرائب وارتفاع الأسـعار و زيادة التضخـم، أصبح دخل الموظف غير كاف

لتلبية احتياجات أسـرته، فأصبح يبحث عن عمل آخر إلى جانب عمله بالحكومة حتى يزيد دخله ويستطيع توفير متطلبات أسرته، وكان المصـرى فى البداية هو جزء من بلده لا يسـتطيع أن ينفصل عنها أو يهجرها ويهجر أسرته، لكن فرص العمل ضاقت، وزادت احتياجات أسـرته، ما بين الأساسـيات المأكل والكساء والتعليم، واقتناء الأجهـزة الكهربائية المختلفة بـدءاً بالتليفزيون ونهاية بالفيديو، وهناك الكثير من الموظفين الذين اسـتقالوا من الوظائف الحكومية واتجهوا نحو تأسـيس مشروعات خاصة بهم أو العمل بمجال الأعمال الحرة، وظهرت طبقة رجال الأعمال.

كمـا اتجه البعض الآخر إلى البلـدان المختلفة، خاصة العربية منهـا، حيث أنه لـن يحتاج إلى تعلم لغة آخرى كى يسـتطيع أن يعمـل بها، وكأنه فى بلده، وهذا التوجه انعكس على المجتمع، فقد اتسـعت الطبقة المتوسـطة، وصاحبه توجهـات فى مختلف الطبقات التـى تبحث دائما عن التميز، لتلحـق أبناءها بمدارس اللغات، وأصبح الحديث باللغات غير العربية فى التعامل مؤشرا علـى رقـى هذه الأسـر، لنصنع داخـل المجتمع طبقـات أخرى بمرجعية تعليمية مختلفة، فهذه مدارس حكومية، وهذه مدارس تجريبية، وهذه مدارس لغات، وهذه مدارس دولية.

إلى أن جـاءت فـترة الانفتـاح الاقتصـادى، التى بـدأت فى السبعينيات، وما لها من تأثيرات، المهم أننا مع كل هذه الأسباب

ونتاج لها زاد استيراد السلع بداية بالسيارات مروراً بالملابس والماركات العالمية والأجهزة الكهربائية.

وصاحب كل هذه التغيرات فى المجتمع تغير فى القيم، بداية من داخل الأسرة، كيفية تعامل الآباء والأمهات مع أبنائهم، وداخل المدرسة كيفية تعامل المدرس مع تلاميذه، والأستاذ الجامعى وطلابه.

كما تغير اتجاه الأبناء فهم لم يعد هدفهم السفر إلى دول عربية، بل السفر إلى دول غربية، نقلوا عنها أنماطاً مختلفة من الأزياء والسلوكيات، وأحياناً لا يعودون، فتكون هجرتهم هجرة دائمة يحملون فيها جنسيات بلاد الغرب، وربما يستقدمون أسرهم وآباءهم وأمهاتهم، فقد أصبحوا طيوراً مهاجرة.

تغير كبير فى كل شىء مما أثر على شكل المجتمع المصرى، وطبقاته المختلفة، والذى مازال يتغير حتى يومنا هذا، وربما لنفس الأسباب، بالإضافة إلي المؤثرات الإعلامية المختلفة، والإعلانات عن السلع بها، مروراً بالإنترنت.

نحن جميعاً مع التطور لكن دون أن نطمس هويتنا، دون أن نتخلى عن قيمنا أو عاداتنا وتقاليدنا، وعن تماسكنا الأسرى، وعن هويتنا وعن تعاليم ديننا، ولنخطط للمستقبل بالشكل الذى يرتقى بنا وبمجتمعنا وبلدنا.

رحم الله مفكرنا الكبير الذى فارقنا يوم ٢٧ سبتمبر ٢٠١٨،

حيث وظف دراسته فى الاقتصاد والقانون فى وصف المجتمع المصرى، ورصد التحولات التى طرأت عليه وفسرها وأرجعها لعوامل كثيرة اقتصادية واجتماعية وسياسية فى هذه الحقبة الزمنية.

هجمة فيروسية

مع نهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء، تنتشر الفيروسات التى تهاجمنا، فيصاب معظمنا بنزلات البرد، ويصاب غالبية من لهم معاناة مع حساسية العين والأنف والصدر بأدوار مختلفة، وفى كل عام تنجح الفيروسات فى تطوير أنفسها، حتى لا يصبح علاج العام الماضى صالحاً للعام الحالى، وكأننا فى معركة شرسة، مع هذه المخلوقات الضعيفة الدقيقة جداً، وكثيراً ما يقف العلم والطب عاجزين عن التعامل مع مثل هذه الكائنات، ويسقط الكثير من الضحايا، وهم فى الغالب من كبار السن، الذين ضعف جهازهم المناعى.

ففى كل عام نفقد العديد منهم فى موجات البرد القارس فى الشتاء، وفى الموجات الحارة فى الصيف، نعم هى أعمار لكن لابد أن يكون للموت سبب فى معظم الحالات .

وفى نهاية عام ٢٠١٩ طل علينا Covid 19 ، وهو فيروس ضعيف ما أن يدخل جسم الإنسان وينجح فى اختراقه والوصول إلى الرئة يقوم بتدميرها، لتغرق فى نزيف يودى بحياة من هاجمه، إنه فيروس العصر الحالى، الذى سقط الكثير من البشر ضحايا له، ما بين مصاب أو متوف، ووقف العلماء يبحثون عن علاج

فعال لمواجهته والقضاء عليه، لكن سـرعة انتشاره أسقطت الكثير والكثير من الضحايا، وكانـت أكثر الدول تضرراً من هذا الفيروس هى الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وأسـبانيا وإنجلترا وإيران والصين وألمانيا، من حيث الإصابـات والوفيات، فمعظم هذه الدول قاعدة الهرم السـكانى عندها من كبار السـن، وجهازهم المناعى قد ضعف، بالرغـم من تقدمهم العلمـى فى معظم الصناعـات الثقيلة وفـى صناعة السـيارات والأسـلحة، إلا أنهم وقفـوا عاجزين أمام هـذا الفيروس، وبعد وقوع الكارثة بدأوا فى توجيه البحث العلمى لإيجاد علاج له أو لقاح ، المشكلة تكمن فى انتباه الأفراد لإصابتهم به متأخرا، حيث يكون بالفعل قد تمكن منهم، وأصبحت المستشفيات غير قادرة على اسـتيعاب معظم المصابين، إلى الدرجة التى أصبحت هذه المؤسسات العلاجية تنتقى من يدخل للعلاج، وليبقى الآخر فى بيته، لأنها أمم تتجه نحو الشيخوخة، فخسارتهم البشرية كانت أعلى، لأن معظم مواطنيها من كبار السن.

ونأتى للدول الأقل تضرراً حتى الآن من كابوس فيروس كورونا، نجد أنها فى دول الوطن العربى شرقاً وغرباً، ذلك لأن قاعدة الهرم السـكانى لديهما من الشباب، وهذه الفئة العمرية مازال جهازها المناعـى بجودته، ويسـتطيع التعامل مع مثل هذه الفيروسـات، وتكوين مضادات لها فالبرغم من ارتفاع عدد الاصابات إلا أن أعداد الوفيات أقل.

ونعود مرة أخرى إلى الفيروسات، والتى تنجح فى كل عام فى التطور والتحور، ليسمى هذا العام بأنفلونزا الطيور، وعامًا آخر بأنفلونزا الخنازير، وعامًا آخر بأنفلونزا الألمانية أو الأسبانية، وينزعج البشر كل عام من مسماها، المهم أن العلماء يطلقون عليه اسماً جديداً فى كل عام، ويبحثون عن علاج له، ويختفى بعد أن يجدوا له علاجاً، ليظهر بعده فيروس آخر، كأننا نطارد شبحاً، حين نشعل الأضواء ونكاد نمسك به لا نجده، ويظهر لنا شبح آخر.

فالدعوة الآن أنه لا يجب أن نستهين بمثل هذه الكائنات الدقيقة التى لا ترى بالعين المجردة، ولكن يجب أن نحتاط، وذلك بتقوية جهاز المناعة لدينا، بتناول الفيتامينات التى تحقق هذا الهدف، مع الأخذ بالإجراءات الاحترازية التى أعلنتها منظمة الصحة العالمية.

والتى تتمثل فى ارتداء الأقنعة الطبية حيث أنه يدخل عن طريق الأنف أو الفم أو العين، وارتداء القفازات، حتى لا نلامس الأسطح بأيدينا لأن هذا الفيروس يتمركز على الأسطح، وأحيانا فى الهواء، ونهتم بالتغذية السليمة التى تقوى جهاز المناعة، وأن نحرص على زيارة الطبيب إذا شعرنا ببعض أعراض الإصابة بهذا الفيروس. والتى تتشابه تماما مع أعراض نزلات البرد العادية، كالرشح والعطس والكحة وارتفاع درجة حرارة

الجسم، كى نطمئن على أنفسنا، وعدم مخالطة الآخرين ربما يكونون مصابين ولا يعلمون، فكثيراً ما تم اكتشاف حالات حاملة للفيروس دون أن يظهر عليها أى علامة مما سبق، وأحيانا عند عمل تحاليل يكتشفون أن البعض لديه مضادات لهذا الفيروس، وهذا يعنى أنهم أصيبوا، وتم شفاؤهم دون أن يعلموا، من كل ما سبق، نستخلص أننا لابد أن نعقلها ونتوكل، فيجب أن نتبع كل الإجراءات الاحترازية السابقة، ونضيف عليها الابتعاد عن عاداتنا فى المصافحة والتقبيل، فقط حتى لا نتعرض لنقل العدوى، ونهتم بمتابعة كل من حولنا، لأن البعض منا يهمل فى التعامل مع الأمراض بالفعل، وهؤلاء هم الأخطر على المجتمع، لأنهم يتبعون الإجراءات التقليدية مع هذا الفيروس الضعيف فى الهواء، القوى حين يخترق أجسادنا، ولندعو الله أن يحمينا منه، ويرحم ضحاياه، وليكن العلم على استعداد لاستقبال نوع آخر من الفيروسات فى الموسم القادم، حتى لا تتكرر كارثة Covid 19 مرة أخرى.

منازلنا حزينة

منازلنا شـاهد عيان على حياتنا، فقد شـهدت حبنا وشهدت بداياتنـا، ودفء علاقاتنا، كنا نزينها ونهتـم بجميع أركانها، هذا مكان استقبالنا للضيوف، وهذا للأهل والأقارب، وهذه جنتنا غرفـة نومنا، طليناها باللون الـوردى، فعلماء النفس يقولون أنه يعجل بالاسـتغراق فى النوم، ويمنحنا هدوء النفس والسكينة، و وفرنـا بها الإضاءة الخافتة، حتى لا يزعج أحدنا الآخر، لأننا لم نعرف بعد بعـض طباعنا الخاصة، وبها الأنوار العالية لترتيبها وتنظيفها وغير ذلك،

وهذه تسريحتنا التى نتزين أمامها، وهذه تابلوهات للديكور، ربما تحوى زهـوراً أو وجهًا جميلًا، تفننا فـى تجميل منازلنا، كى نسـعد بحياتنا بها، الحقيقة أننا ما كنا لندرك أنها تسعد بنا وتتأهب لاستقبالنا، لتسعد بنا وبجمعنا.

حضرتنـا وشـاهدتنا ونحن نزف، وفى قلوبنـا حب وفرحة، شـاهدت لهونا ولعبنـا ومرحنا، كما شـهدت خلافاتنا وغضبنا، وكما حزنـت لحزننا، فرحت لقدوم حادثنا السـعيد، فسـيأتى لحياتنـا طفل يملأ أرجاء المكان، وما بعد قدومه من أضواء لا تطفأ ليل نهـار، و ضحكاته وبكاؤه لا تصمـت إلا حين ينام، وفى كل

موقف نختلف ويخلوى المـكان منا، تراها صامتة حزينة، إلى أن نعود وكأننا أعدنا إليها الحياة، وتحتفى بنا وبأضوائنا وأصواتنا، تحرسنا وتحرس أبناءنا، تحفظ أسرارنا، صامتة لا تبوح للآخرين بما تراه أو تسمعه.

نعيـش فيها وتعيش معنا، فهى سـتر لنا هـى من تضمنا فى الفرح والحـزن، ترعى أبناءنا وتربيهم معنا، رغم ما فعلوه بها، فقـد تركوا بصماتهم علـى حوائطها، وفى كل أركانها، فنقشـوا أسماءهم، ورسموا الزهور، ووضعوا خطوطاً متعرجة ومسـتوية، شهدت نجاحاتهم، وباركت طفولتهم وشبابهم، حتى نحن عايشتنا شبابا واليوم كبرنا، لكنها ترعانا وتضمنا، بالأمس شهدت مرضنا وعافيتنا، وأفراحنا وأحزاننا، واليوم وقد كبر أولادنا، وبدأوا فى الانتقال إلى منازلهم الجديدة، وتركوا منازلنا، وبدت خاوية كما كانت قبل قدومنا إليها..

اليـوم حين ننظر إلي جدرانها نجدها قد كهلت مثلنا، ونراها باكية من وحدتها ووحشتها، وتنتظر رحيلنا بين الحين والآخر، فقد اعتادتنا كما اعتدناها، والسـؤال الذى لا يفارقها، من سيأتى إليها بعد رحيلنا ؟ لقد ألفتنا وألفناها، وهى باقية ونحن راحلون، بالأمـس لم تكن المنازل كما تعانيه منازلنـا الآن، فالبيت الواحد يضم كل الأجيال، هـذا يرحل والآخرون باقون، منازل لا تعرف الخواء، فبهوها يسـع الجميع فى سـهرات السمر، وفى الأفراح

والأحزان، فى برد الشتاء، وفى حرارة الصيف، كنا معا، ربما نجد هذه المنازل فى الريف، أما بالحضر فالمنازل تكبر مثلنا، وإن خلت منا، تحزن لفراقنا، حتى إن استعدت لاستقبال جيل جديد من العرسان، فإنها لا تكن ببهجتها حين استقبلتنا، وكأنها شاخت، مهما أزلت عنها طلاءها القديم وطليتها من جديد، ومهما غيرت أرضياتها، وحتى أسلاك الكهرباء وتوصيلات المياه المختلفة، ستظل بها رائحة الماضى الذى عشناه فيها، وستظل تحفظ ذكرانا فى كل مكان.

فيروس كورونا

كلما تابعت شاشة التليفزيون انزعجت، وكلما فتحت نوافذ السوشيال ميديا زاد قلقى وانزعاجى، الجميع يتحدث عن الفيروس الذى هبط علينا فجأة، بلا مقدمات، وانتشر بالكرة الأرضية شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، لا ينجو منه الغنى ولا الفقير، لا الدول المتقدمة ولا المتأخرة، لا الدول كثيفة الأعداد من السكان، ولا الدول قليلة الأعداد من السكان .

لم يستسن هذا الفيروس أحداً، هل يعد ظهوره مؤشراً على تأخر البشرية علمياً ؟ إنهم لم يصلوا بعد لعلاج له، أم هو صناعة بشرية نجحت فى اختبار الحروب الفيروسية كحروب باردة، بلا أسلحة ولا طائرات ولا مركبات، وإن كان هذا الافتراض سليما، أليس من المنطقى أن من أحضر الفيروس قادر على أن ينتج علاجاً له ؟ هل هو اختبار للعقول البشرية فى كيفية مواجهة الأزمات ؟

هل سيتحد البشر لمواجهته والقضاء عليه؟ أم سنضحى بالأضعف لنحتفظ بالأقوى فقط ؟ كما فعلت بعض الحكومات مع مصابيها، واختيارها من تعالج و من تترك من الضعاف من كبار السن لمواجهته وحدهم، وتهتم بمعالجة الشباب، أو الأقوى بنية جسدية؟ تساؤلات كثيرة تطفو على السطح، حتى أننى أصبحت

أشعر أننا جميعاً فى كابوس أو فيلم خيال علمى أو فيلم رعب.

فلنهـدأ جميعاً ولنعتـبره أزمة من الأزمـات، ولنعرف آثاره السلبية ولننشر ما يفيد البشر فى كيفية التعامل مع هذا الفيروس الوافـد المزعـج دون تهويـن أو تهويل، ولنـدرس تاريخ الأوبئة التى قضت على أعداد كبيرة من سـكان الكـرة الأرضية كالكوليرا والطاعون، تتجاوز ربع سـكان العالم، فكثيرا ما نشـاهد الإعلام يلاحقنا بالإرشـادات، لكنه يرعبنا بما يحدث فى بعض الدول، موضحا أنه ينتقل عبر الملامسة، فلا داعى للمصافحة، وعن وجود الفـيروس على الأسـطح المختلفـة فلا بد ألا نمس أى شـىء دون تعقيمه، ومن الهواء فلا داعى للتنفس إلا من خلال الكمامات، إن صدقنا على كل ما نرى أو نسـمع استسلمنا جميعا وحفرنا قبورنا بأيدينا، أعتقد أننا فى حاجة إلى التفكير، وتوجيه النصح للجميع بشـكل لا يثير الذعـر لديهم، وتصبح معركتهـم الحالية معركة مـن أجل البقاء، فيتكالبون على شـراء الكمامات والمواد المطهرة، وتخزين المأكولات والمشـروبات وإبتداع أزمات صحية وتموينية، والبقاء للأسرع فى الاقتناء، وللأغنى فى القدرة على الشراء.

فلنهـدأ جميعـاً ولنتبع أبسـط القواعـد فى تجنـب الإصابة بالفيروس، وكيفية الحماية منه بالمشـروبات السـاخنة، وإن لم نجد فبالماء الساخن، فهذا الفيروس ضعيف جداً، وإمكانية القضاء عليه من أسـهل ما يكون، لكن بالتعقل بمعرفة طبيعته، أخطر ما

فيه أنه يهاجم الجهاز التنفسى، وهو لا يعيش فى درجة الحرارة التى تزيد عن ٣٠ درجة مئوية، ربما يدخل الجسم عن طريق الأنف، ثم يتسلل هذا الفيروس إلى الحنجرة ويصل إلى القصبة الهوائية وبعدها إلى الرئتين، وحتى لأسوأ الظروف إن وصل إليهما، هناك علاج فكم مريض شفى منه.

المشكلة الكبرى تكمن فى بعض الأشخاص الذين يعتقدون أن الذهاب للطبيب هو نقص فيهم، مع أن الله خلق المرض وخلق الدواء، وهنا يأتى دور المخالطين لهم، فى علاجهم مع أخذ الحيطة والحذر.

دعوا هذه الأزمة تمر فى هدوء دون صراع أو انتقاء لمن البقاء، فلكل منا ساعة حددها الله سبحانة وتعالى دون أن يعلنها، وعلينا أن نحيا كما أُمرنا كأننا نعيش أبداً، أو كأننا نموت غداً، فقط نعقلها ونتوكل.

بين المطرقة والسندان

عندما نريد أن نرتبط بشريك الحياة، نتحرى فيمن سنرتبط بهم، تبعاً لوصايا الدين، تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ونسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك، وهذا أيضاً تفعله أسرة الفتاة، لأنها تريد أن تأمن على ابنتها مع من يصونها.

نحن لا ننكر جميعاً أن الزواج مسئولية كبيرة، فهو مشاركة شخص آخر لحياتنا طوال عمرنا، على الميسرة وعلى العسرة، على الاتفاق والاختلاف، فالحياة الزوجية ليست وردية كل الوقت، لكن كل المشكلات يمكن أن نتحملها معاً، من فقر وقلة مال، فى مرض وكيف نتعايش مع هذه المواقف، مع مرض أبناء، مع تحمل الأب أو الأم الزوجة أو الزوج، ورعايتهما دون ضيق أو ملل، لكن هذا لا يحدث إلا إذا كان الزوجان على وفاق، فأنا أتحمل الأعباء لإرضاء زوجى، لأننى أحبه وهو أيضا يفعل هذا لأنه يحبنى ويحترمنى ويقدر ما أفعله معه، ومع أسرته ومع أبنائنا، نحن مؤسسة كما وصفنا الله سبحانه وتعالى، ولابد من تطبيق دستور هذه المؤسسة، التى تقوم على المودة والرحمة.

أما إن لم نستطع أن نرسى أهم القواعد فى هذه العلاقة، فإننا كأننا نحفر حفرة، وأحياناً نشعل بها ناراً، انتقاماً من شريكنا الذى فشل فى محبتنا واحتوائنا، إذًا لماذا أعاونه بدنياً ومادياً، إن

لم يكــن له رصيد عندى حتى احترم مشــاعره وأرضيه، أو أرضى أفراد أسرته، كأنه بســوء معاملته قطع كل الأواصر بيننا، وأطاح بالمــودة والرحمة عرض الحائط بل ربما يحرضنى على أهلى طمعاً فيما لديهم، ويغدق هو على أهله.

ليتــه يفعل هذا بذكاء، إنما يفعله بغشــامة، إن اســتجبنا فى بداية حياتنا الزوجية، ستكشــف لنا الأيــام أننا كنا على خطأ، فكيــف أصل رحمه وأقطع رحمى؟ كيــف يطمع فيما لدى وما لدى أهلــى ليعطى أهلــه، ويهملنى حتى ينفد ما لــدى، وفى كل يوم تزداد الفجوة بيننا، ونبتعــد أكثر وأكثر، أحيانا ننجب وأحيانا نتوقــف عن الإنجاب، لأننا ندرك أن الحياة معه لن تســتمر، فلمَ نثقــل كاهلنــا بأبناء لأب لا يســتحق أن يطلق عليــه هذا اللقب، فيــدرك وقتها أننــا فهمنا لعبته، ويبدأ لعبة المســاومة، الهدف هو الاســتمرار معه، حتى يضمن البيضة الذهب التى تعطيها هذه الزوجة مــن مالها ومن مال أهلها، فيبــدأ مرحلة التمثيل، ربما ينجح فترة لكنه لن ينجح طول الوقت، ســاعتها سيكون الابتعاد عن فرد كان ســبب آلامنا وتراجعنا فى عملنا وفى حياتنا، لأنه لم يرتــقِ لأن يكون رجلاً، فالذكور كثيرون، أما الرجال فهم قلة فى زمن عزت فيه الرجولة بما تحمل من معانى وســلوكيات، فالوضع الراهن له العديد من الأسباب فى فشل الزيجات، والانفصال المبكر حتى لو كان هناك أطفال، لأننا أصبحنا على قناعة أن وجود هؤلاء الأزواج أصبح عبئاً لا سنداً، فلمَ الاستمرار.

بلا جدران

يعتقد معظمنا أن الحياة بلا جدران هى قمة الحرية والانطلاق، فبدونهـا نجوب الأرض شـرقاً وغرباً ونحلق فى السـماء، بكامل حريتنا ورغبتنا، لكننا نكتشـف بأننـا اصطدمنا بوحوش ضارية، ربما تنهشنا، ولا نستطيع الفرار منها، أو تنكسر أجنحتنا بالحلم، ونسقط من السماء التى حلقنا بها، واعتبرناها الأمل فى الحياة.

فـى هذه اللحظات ندرك أن للجدران قيمـة وأهمية فهى التى تحمينا، وهى التى توجهنا، وهى التى تقاسمنا أفراحنا وأحزاننا، لكننا فى لحظة اتخاذ القرار لا نرى لا نسـمع ولا نطيع، فكل ما نـراه هو الأدق والأصح، كنا فى غيابات الحلم، لا نرى إلا بريقه؟ أو كرهنـا الجدران التى تحاوطنا دون إظهار أى مبرر لها، ونرى أنها قيود تكاد تخنقنا، وتجهـز علينا حتى نفارق الحياة، التى اعتقدنا وقتها أنها الحياة.

إذاً لنا وقفة مع هذه الجدران، دعونا نفهمها، دعونا نحاورها، دعوها تعبر عن رأيها، وعن الأسباب التى تراها لترفض قراراتنا، ربما تكون على حق، لكن المهم طريقة الحوار وأسـلوبه، لن نقبل أن يملى علينا الآخرون نصائحهم وقراراتهم التى ستغير مصيرنا، هى حياتنا سنعيشها كما يحلو لنا.

أمــا هذه الجدران فلها وقت وترحل، مــاذا عنا ؟ إن طالت بنا الحياة، كيف ســنفلت من قيود قيودنا بها ؟ وبعد كم من السنين؟ بعد أن تمر أجمل ســنوات العمر، أم ســنعتبر أننا تركنا جدرانا لنختبئ وراء جدران أخرى، وتضيع حياتنا هباءً دون أن نحياها، ســاعتها ســيكون الاختيار صعب وبه الكثير من الخسارة، إن لم تكن مادية فهى نفســية، فقد انكســر أجمل ما فينا، وعدنا نبكى على اللبن المســكوب، وهذا البكاء لــن يعيده مرة آخرى، المهم ألا نكرر الأخطاء التى أضاعت منــا أعمارنا، ولنتناقش وليعرض كل منا مبرراتــه، لنصل إلى حل يرضى جميع الأطراف، ونكون خير خلف لخير سلف.

دعوة للتفكير

تواجه مجتمعنا المعاصر العديد من المشكلات، منها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها، كلها تصب فى اتجاه تفتيت الأسرة التى كثيراً ما حسدنا الغرب على هذه الأسر «نواة المجتمع»، فبالأمس كانت الأسر الممتدة، التى تجمع الجد والجدة والأبناء والأحفاد، والآن بعدت المسافات، فالجد والجدة بمسكنهما بأحيائنا القديمة، والأبناء انقسموا هذا فى الشرق والآخر فى الغرب، فى مناطق نائية لأنهم لم يستطيعوا أن يمتلكوا أو يستأجروا مسكناً بجانب والديهما، وإن احتاج الآباء والأمهات أحد أبنائهما، سينتظرون ساعات يمضيها هؤلاء الأبناء حتى يصلوا إليهم، فهذا بمدينة السادس من أكتوبر، والآخر بمدينة الشروق، وغيره إن وجد بمدينة ١٥ مايو، وهذا أضعف الإيمان، إن كان هؤلاء الأبناء يعرفون حقوق آبائهم عليهم.

وفى بعد آخر يسافر الأبناء إلى الخارج، ويجلس الآباء والأمهات بلا أبناء ولا أحفاد بلا أنيس، بلا صلة رحم، وكل هذا من أجل الحصول على فرصة عمل أو شراء شقة بسعر مناسب، فارتفاع أسعار الشقق السكنية أصبحت فلكية بالنسبة للشباب الذين يتقاضون ١٢٠٠ جنيها كحد أدنى للرواتب، لا يكفون للانتقالات، وتناول الإفطار خارج البيت.

وكم من السنوات سيمضيها هؤلاء الشباب من أجل الحصول على شقة كى يتزوجوا بها حتى لو إيجار ؟ وكم من الأموال مطلوبة لتجهيز الشقة ؟ حتى لو قامت بعض الأسر بدعم أبنائها فى الحصول على شقة وفى تجهيزها، كيف سينفقون على أسرهم الجديدة ؟

دعونا نفكر معاً، إن كنا نتحدث عن دور الدولة فى استثمار ما تملكه من ثروة بشرية أعتقد أن لديها بعض المهارات، ومن الممكن دعم هذه المهارات داخل المؤسسات المختلفة، ونضع أمام أعيننا أن هذه الثروة البشرية يطمع بها الكثير من الدول، لأنها دول تتجه نحو الشيخوخة معظمها فى قارة أوروبا.

لم لا نساعد هذا الشباب حتى يحيا حياة أفضل، ونوفر له فرص عمل تسهم فى بناء الدولة وإعمارها، ودخولها فى مصاف الدول المتقدمة، هذه قضايا نود عرضها للبحث عن حلول لها، ورؤى مستقبلية تجعلنا نحققها.

كيف نوفر فرص عمل للشباب بأجر مناسب يستطيع أن يحيا به حياة كريمة ؟

كيف نوفر لهم مسكنا يتناسب مع دخولهم ويلبى احتياجات أسرهم فى مراحلها المختلفة ؟

كيف ندعم الشباب فى إقامة مشروعات صغيرة نغزو بها العالم كما فعلت ومازالت تفعل الصين والهند ؟

مــع العلم أن عدد ســكان الصين يمثل حوالى ربع ســكان العالم بحــوالى مليار و٤٠٠ مليون نســمة، والهند تجاوز عدد ســكانها المليار نسمة، وأن إيران تطمح أن يزيد عدد سكانها إلى ١٥٠ مليون نســمة، وقد طرحت العديد من الفرص لدعم الشباب وحثهم على الزواج والإنجاب .

ولا ننســى أن اليابان هذا الكوكب المختلف عدد سكانه يتجاوز ١٣٠ مليون نســمة، مع العلم أن هذه الدولة لا تملك ســوى الثروة البشــرية، و بلا موقع إســتراتيجى أو مساحة كبيرة من الأراضى المتنوعــة بين رملية وطينيــة وجبلية، فهى عبــارة عن عدد من الجزر وتتعرض للكثير من الزلازل .

فلنفكر فى تجارب مثل ماليزيا التى نهضت ووصلت إلى مصاف الدول المتقدمة والتى أصبحت منتجاتها ماركات موثوقًا بها عالميا، ومثلها كوريا الجنوبية وغيرهما، فلنفكر كيف نحافظ على ثروتنا البشــرية ونســتثمرها، لا أن نقوم بإعدادها، وندعها تهرب منا إلى دول تتلقفهــا وتجعلها رموزا بهــا " الدكتور / أحمد زويل – ودكتور مصطفى الســيد – ودكتور مجدى يعقــوب " وغيرهم فى الكثير من المجالات العلمية والاقتصادية .

رفقــا بأبناء الوطن، لا تدعوا الطيور الشــابة تهاجر إلى أوطان بعيدة، فكروا كيف ننهض بالوطن بعقولهم وسواعدهم ؟

المؤلف فى سطور

الاسم: د. منى حسين
الوظيفة: إعلامية بالهيئة الوطنية للإعلام
– عضو نقابة الإعلاميين المصريين
– عضو اتحاد كتاب مصر
– عضو مجلس إدارة قصر ثقافة الجيزة

صدر للكاتبة مؤلفات أدبية:

– مجموعة قصص قصيرة «قبلة الوداع» – عن دار النخبة للطباعة والنشر ٢٠١٧.
– مجموعة قصص قصيرة «صانعة الفنون»، دار النخبة للطباعة والنشر ٢٠١٨.
– مجموعة قصص قصيرة «قيد من حرير» القاهرة، ٢٠١٩.
– رواية «نظرات عتاب»، القاهرة، ٢٠٢٠.
– مجموعة قصص قصيرة للحياة وجه آخر، دار المعارف، القاهرة، مصر ٢٠٢١.

نُشر للكاتبة عدد من المقالات، فى موقع «مجلة آماد» «وحياتى اليوم» والقاهرة ٢٤ وغيرها، منها:
– «ماذا حدث للمصريين ؟ ١ –٢» – خارج الدائرة – دعوة للتفكير – قصور خاوية وقصور عامرة» وغيرها من المقالات.

– نشر للكاتبة عدد من القصص، فى مجلة الإذاعة والتليفزيون وفى مجلة «المصور» وفى جريدة «الديار»، وفى موقع جريدة «صوت الشعب» الإلكترونية، وفى موقع «مجلة آماد» وفى موقع «جريدة حياتى اليوم» وفى صحيفة المستقبل المغاربى الجزائرية، وغيرها من المواقع و المجلات والصحف المطبوعة.

– صدر للكاتبة مؤلفات علمية:

– كتاب : التليفزيون وقضايا المرأة من منظور تعليم الكبار، دار الوطن للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٩.

– كتاب « التليفزيون والمرأة، دوره فى تلبية الاحتياجات التربوية للمرأة العاملة فى الحضر»، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦.

- شاركت فى العديد من المؤتمرات التى أقامها كل من:

– المجلس الأعلى للثقافة.

– جامعة عين شمس.

– جامعة القاهرة.

- قامت بالتدريس بالجامعات التالية:
- برنامج الإعلام، بمركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس.
- قسم الإعلام ، كلية التربية النوعية، جامعة عين شمس.
- قسم الإعلام ، كلية التربية النوعية، جامعة القاهرة.
- كلية التربية جامعة الباحة بالمملكة العربية السعودية.
- كلية العلوم والآداب، جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية.

فهرس الموضوعات

الإهـداء ٣
ضـد المـرأة (١) ٥
ضـد المـرأة (٢) ٩
ضـد المـرأة (٣) ١٣
ضـد المـرأة (٤) ١٧
ضـد المـرأة (٥) ٢١
قصـور خاوية وقصور عامـرة ٢٥
مَنْ ضحيـة مَـنْ ٢٩
بـلا ذكريـات ٣٥
بـلا رجعـة ٣٧
بـلا عتـاب ٤١
ثقافـة الصمـت ٤٣
خـارج الدائـرة ٤٧
يعتقدون أنهـم أحيـاء ٤٩
حتـى لا ننـدم ٥١
امرأة تبنـى وأخرى تهـدم ٥٣
أبغـض الحـلال ٥٩
أشـباه رجـال ٦٣

الفراش المهجور ٦٧
هزة أرضية ٧١
ماذا حدث للمصريين ؟(١) ٧٣
ماذا حدث للمصريين؟ (٢) ٧٥
هجمة فيروسية ٧٩
منازلنا حزينة ٨٣
فيروس كورونا ٨٧
بين المطرقة والسندان ٩١
بلا جدران ٩٣
دعوة للتفكير ٩٥
المؤلف فى سطور ٩٩

طبع بمطابع دار المعارف